

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبي بكر بلقايد

معهد اللغة العربية وآدابها

مذكرة التخرج

لنيل شهادة الماجستير في اللسانيات

الموضوع

النبر و التنعيم في اللغة العربية

- دراسة وصفية وظيفية -

تقديم الطالب : والي دادة عبد الحكيم

الأستاذ المشرف : عبد الجليل مرتاض



1418 - 1419 هـ

السنة الجامعية :

1997 - 1998 م

المقدمة

تعتبر اللغة الوسيلة الأساسية للتواصل الإنساني. ولها فروع و مستويات يصعب الفصل بينها و لا يكون ذلك إلا من باب التنظير للغة.

و للعرب في الدرس الصوتي جهود بالغة الأثر في الدراسات الحديثة. فانكبوا على لغتهم مفكرين أسرارها و ألغازها عليهم يصلون إلى جوهر تراكيبها. فأول ما ابتدأوا بضبط رسوم الحركات وأردفوه بتحديد مخارج الأصوات و صياغتها و أقسامها و رصد ما يكثر دورانه على الألسنة وما يقل. وما ينشأ من ظواهر للتشكيل الصوتي.

و قد تجلت بذور الظاهرة الصوتية مع فجر الإسلام، إذ كان ملازماً لظهور الدراسات اللغوية الأخرى النحوية منها و الصرفية. وكان لظهور القرآن الكريم الأثر في تحلي الدراسات الغوية بالعموم. فانصبوا عليه باحثين و مفسرين آياته الكريمة.

و لم يكن للمتقدمين منهج واحد يسيرون عليه في تعاملهم مع الظاهرة الصوتية، إذ غالباً ما كانت هذه المناهج تتغير حسب طبيعة المادة اللغوية المرادة بالبحث و الاستقصاء. و بعد تجاوز مرحلة الملاحظة المباشرة التي اعتمدها "سيبويه" و "الخليل بن أحمد" في استقرارهم للظواهر اللغوية، ترقبنا ميلاد منهج جديد في هذا الباب، فذهب المتأخرون إلى عزل ميادين اللغة عن الدراسات الأدبية و راح كل منهما يؤلف في مجاله، حتى تمثلت القطيعة بين هذا و ذاك، في الوقت الذي كان يجب ألا نُقْصَ طرفاً عن الآخر.

الدوافع الرئيسية:

لما كان البحث في الأصوات من صميم الدراسة اللغوية، و بصورة أخص. عما يفسر و يعلل بعض النصوص و الأعمال الأدبية، فمراجعة الظواهر و القرائن اللغوية من صميم واهتمام الدراسات اللسانية الحديثة خاصة في الأثر الذي تحدثه في استنباط المعاني المختلفة. وقد وقع اختيارنا على موضوع: (النبر والتنغيم في اللغة العربية دراسة وصفية، وظيفية) إسهاماً متواضعاً منا في إثراء هذه الدراسات و محاولة الإسهام في وضع أسس علمية لنهج

وفتح جديد في مجال الدراسة اللسانية الحديثة. ثم التذكير بأولويات الدرس الصوتي. ثم إن الغيرة التي يجب أن تسكن الباحثين لم تمنعنا من الإصرار على إنهاء هذا البحث.

منهج البحث :

اعتمدت فيه على إستقصاء الظاهرتين و تتبع آثارهما في ما توصلت إليه من مصادر الدرس اللغوي بدءا بالمعاجم اللغوية وصولا إلى أحدث الأسلحة العلمية المختصة في تحليل الكلام، باعتباره ظاهرة فزيائية علمية مجردة دون أن أهمل ما يثري البحث من مصطلحات علمية صوتية جديدة، تعززت بها كتب الدراسات الصوتية الحديثة. اعتمدت المنهج الوصفي في محاولتي لترصد الظاهرتين عند العرب و غيرهم من الأمم فجمعت ما استطعت من الأقوال و الآراء التي تثبت وجودهما حيناً و التي تنفي وجودهما حيناً آخر ولما تحتم التعرض إلى الدراسات الغربية وجدت نفسي مرغماً على الإمثال إلى المنهج المعياري الذي سمح لي بتشريح الظاهرتين واستخراج قوانينها الخاصة.

أهداف البحث :

- 1- الانتقال بدراسة الكلام من المستوى النظري التجريدي إلى المستوى التطبيقي وهذا المنهج علمي دقيق.
- 2- توسيع مجالات الدرس اللغوي، وذلك بإعادة وصله بالدراسات العلمية و الفزيائية خاصة و الاعتماد في ذلك على الجهود الأوروبية.
- 3- الإستفادة من اكتشافات علماء الاتصال و السمعيات باعتبار أن الكلام مجموعة موجات صوتية و هي نقطة التلاقي بين المجال اللغوي و المجال الفزيائي.
- 4- ضرورة توضيح العلاقة بين علم الأصوات بمفهومه العام و علوم العربية الأخرى كالتركيب و المعاني.
- 5- توضيح طبيعة هذه الرموز الصوتية و الأنساق المختلفة التي يتخذها المتكلم للدلالة على معاني متعددة من خلال نمط و نموذج خطي ثابت.

و لا شك أن المحاولة في هذا المجال مرهونة و متعلقة بشروط و قرائن أخرى غير لغوية لم تعقنا في مواصلة الجهود لمحاولة إخراج هذا البحث المتواضع في أحسن حال بعيد الحلقة المفقودة في الدراسات النقدية.

خطة البحث :

و سعيا إلى تحقيق هذه الأهداف قسمت البحث إلى مدخل ضمته الفصل التمهيدي و فصلين. ففي المدخل تناولت جهود الباحثين القدامى في المجال الصوتي و علاقتهم بقراء القرآن الكريم موضحين العلاقة القائمة منذ مجيء الإسلام بين لغة القرآن و روحه الكريم. و في الفصل التمهيدي تعرضت إلى ظاهرة (النبر) عند القدامى ثم عرجت على ظاهرة التنغيم. موضحا و شارحا لتعريفاته المتنوعة. أما الفصل الأول فقسمته كالاتي : النبر عند القدامى. حاولت تتبع الظاهرة منذ فجر الإسلام بمختلف مرادفاتها و أشد ما ركزت عليه هو إثبات الظاهرة عند المحدثين خاصة لما راح بعضهم إلى حد إنكارها ونفي وجودها في اللغة العربية. دون أن يفوتنا ذكر المؤيدين لوجود الظاهرة في اللغة العربية كباقي الظواهر دون أن تعرف باسمها. معتمدين في ذلك على حجج و براهين، و إن كانت للمؤيدين أقواها و أبلغها، ثم عرجت على التنغيم عند القدامى. وجدت تعددا لتعاريف العلماء لهذه الظاهرة و اختلفت شروحاتهم له. و راح كل واحد يلصق لها من جانب. فهذا نحوي و ذاك مقري كل عاجلها من وجهة منهجه. هذه التعاريف و إن اتفقت -حسب رأينا- جميعا في أنه : الإختلافات الصوتية المؤدية في الكلام دلالة بشرط أن تكون هذه الإختلافات مضبوطة بقواعد و قوانين متشعبة. ثم عرجت إلى ظاهرة النبر عند المحدثين. عرفت فيه النبر لغة و اصطلاحا و حاولت الوقوف على مختلف معانيه عند القراء و غيرهم و إن اختلفت هذه الأخيرة فهي تصب في تعريف واحد. ثم عرضت مواطن النبر عند المحدثين. ولما تعذر ذلك عاجلت نموذجا و هي الجهود التي قام بها الباحث "كويار" فأبرزت أن القوانين التي توصل إليها لا يمكننا إسقاطها على اللغة العربية بأية شكل. فاعتماد المناهج الغربية لا يشفع إلا في اللغات الغربية بالخصوص دون إقصاء لهذا الجهد. و حاولنا مقارنة هذا الجهد بمجد الخليل بن

أحمد فوجدنا هذا الأخير إماما في هذا المجال. ثم انتقلت إلى وظائف النبر لسانيا فهي وإن اختلفت و تنوعت في اللغة العربية فهذا لم يعدم اسهامها في اللغات غير العربية كذلك بل راح الأرييون بالخصوص إلى التفصيل في هذه الوظائف و سموها بمصطلحات علمية دقيقة كانت نتيجة جهود سنوات طوال، و وضعت في هذا المبحث عنصرين هما على التوالي وظيفة النبر على المستوى الدلالي و وظيفته على المستوى الصوتي. و مهما يكن فإن وظائفه و إن اختلفت فقد جمعتها في جدول أردفت به هذا المبحث. ألحقت هذا المبحث بتصور عاجلت فيه وجهة القدامى في بناء أشعارهم سميته باتجاه بناء الأشعار في العربية مينا فيه أن الذوق إحدى المعايير الأساسية في تحديد شكل الأشعار في العربية. و إذا وصلت إلى هذا الحد وجدت نفسي مرغما على التعرض للنبر في اللغات الأروبية. و ما تجدر إشارته أنني لم أحط بكل اللغات بل اعتمدت منهج النماذج من جهة و ما توفر لنا في المراجع الأروبية خاصة. وفيه بينت عناصر أهمها نبر الشدة، و استعماله الصوتي كما بينت كذلك أن هناك لغات لا يعتبر فيها النبر أصلا قارا أو ثابتا ثم عاجلت نبر التفخيم فيه إلى أن وصلت إلى النبر الموسيقي. و لم يفتني في هذا الفصل أن أبين كمية النبر موضحا فيه الجوهر الفيزيائي من جهة و أكثره البحوث الغربية بخاصة في هذا الموضوع، و عندها فتحت الباب لأجد الفصل الثاني.

سميته التنعيم و قصدت به أغلب الدراسات العربية الحديثة و غير العربية و الشيء الذي أسعدنا في هذا أن العرب لم يقفوا عاجزين في تعاملهم مع الظاهرة بل كان لهم الأثر في إعادة بناء قواعد النحو العربي الذي طالما نسج عليه العنكبوت. مهدت أولا بمبحث الإيقاع و أثره النفسي و بينت أن الإيقاع قبل ما يكون ظاهرة موسيقية جمالية في مجال الغناء فهو أثر نفسي ينعكس على الأداء الصوتي فتنسج أروع الألحان، أردفت هذا المبحث بعمل لا يحسبه هين وضحت فيه أثر التنعيم في كثير من أبواب النحو العربي و هي على سبيل المثال لا الحصر : التعت و المنعوت، أسلوب الشرط، أسلوب التوكيد، أسلوب النداء، أسلوب الاستفهام إلى أن خلصت في هذا المبحث إلى اسم الفعل و بأزمته الثلاثة الماضي و المضارع و الأمر، ألحقت هذا المبحث دراسة حديثة للتنعيم بينت فيها العوامل الأساسية للظاهرة و أنهيت هذا المبحث بجدول بينت فيه مختلف الوظائف في تمثيل بياني. و ألحقت هذا المبحث

آخر حللت فيه هذه الوظائف اللسانية في اللغة العربية و غيرها من اللغات الأوروبية و وقفت في هذا على المستوى الموضوعي للوظائف و على المستوى الذاتي. وما تجدر الإشارة إليه أن هذه الوظائف و إن تشعبت و اختلفت في الدراسات الغربية لم تنعدم في الدرس الصوتي عند العرب، و أنهيت هذا البحث برسم بياني وضحت فيه وجمعت فيه مختلف هذه الوظائف، وأنهيت هذا الفصل بعنصر كان الأولى أن يكون في أكثر من مبحث و هو جوهر التنعيم. إن هذا العنصر متعلق بالدراسة السمعية الفيزيائية لظاهرة التنعيم فكثرت فيه المصطلحات العلمية و تشعبت. و حتى نقرب المفاهيم دعمنا شرحنا له برسومات و بيانات منها ما توفر لنا في المراجع الغربية و منها ما وجدناه في الدراسة العربية.

ذيلت هذا البحث بمجموعة فهارس هي على التوالي : فهرس الآيات الكريمة و ترتيبها حسب ورودها في المصحف الشريف ثم فهرس الأحاديث و الأبيات الشعرية هذه الأخيرة التي صنفناها على أساس القافية معتمدين الترتيب الهجائي ثم ألحقنا هذا بفهرس للمصادر و المراجع العربية ثم المترجمة ثم الأجنبية معتمدا في كل هذا على الترتيب الهجائي في اللغتين العربية و الفرنسية إلى أن وصلت إلى فهرس الموضوعات و أنهيت هذا الجهد بفهرس الفهارس.

مصادر البحث و مراجع:

لما كان قرآن الكريم مصدر الدراسات اللغوية عند العرب عمدنا إليه في كثير من المواقع في هذا البحث و هذا لا ينفي استفادتنا من مجموعة من أمهات الكتب المعجمية منها والنحوية و غيرها. أما إذا كان و لابد من ذكر بعضها فنذكر : لسان العربي لابن منظور، كتاب الأغاني لأبي الفرجي الأصفاني، النشر في القراءات العشر لابن الجزري، و شرح ابن عقيل بمجموعة من شروحه هذا عند القدامى أما عند المحدثين فنذكر : منهج البحث في اللغة لتمام حسان، التطور النحوي لرمضان عبد التواب، القراءات القرآنية لعبد الصبور شاهين. كما اعتمدنا على بعض الكتب المترجمة أهمها : كتاب تاريخ الأدب العربي لـ "كارل بروكلمان" و الغربية الفصحى لـ "هنري فليش".

إن ميلاد موضوع بهذا الشكل يجب أن يتعثر في أكثر من مرحلة متيقنين في كل هذه المراحل أن جهدا لا يضيع إنما هو شمعة تزيد هذا البحث ضياء، و إذا كان و لابد من ذكر بعض العقبات التي اعترضتنا في هذا البحث نذكر بالخصوص صعوبة الوصول إلى الأجهزة العلمية الدقيقة لنوضح الأثر السمعي و الصوتي في مخططات بيانية، هذا من جهة و من جهة أخرى قلة مصادر البحث في هذا المجال التي نرجعها في الأصل بجداتة الدرس اللساني بالعموم و الصوتي بالخصوص عند العرب.

لا يفوتني في هذا المقام أن أنوه بالجهود التي بذلها المشرف على هذا البحث الأستاذ الدكتور عبد الجليل مرتاض شاكرين له تضحياته من أجل إخراج هذا المولود إلى الحياة. و إذا ذكرنا لا يفوتني كذلك أن أنوه و أشكر كل من وضع لبنة في إرساء صرح هذا البحث.

الرموز المستعملة في البحث

الرمز	مرادفه بالعربية	مرادفه بالفرنسية
(ت ف)	تركيب فعلي	(S.V)
(ت ل)	تركيب إسمي	(S.N)
(ج)	الجملة	(P)
(وت)	وحدة متغيرة	(U.M)
(م ت)	مجموعة تنغيمية	(G.I)
(م ن)	مجموعة نبرية	(G.A)
(مق)	مقطع	(S)
(ت مؤ م)	تواصل مؤهل متنادي	(C.Ma)
(ت مؤ)	تواصل مؤهل	(C.M)
(عا)	عارضتين	(PAR)
(نها)	نهاية	(Term)
(ت أ)	تردد أساسي	(F.O)
(φ)	علامة عدمية	
(و تن)	وحدة تنغيمية	(U.I)
(و نب)	وحدة نبرية	(U.A)
(و تع)	وحدة تعبيرية	(U.E)

الفصل التمهيري : المرخل

النبر عند القدامى

إذا استقصينا مفهوم النبر و وجوده عند النحاة و أصحاب المعاجم اللغوية، نجد أن النبر عند العرب هو ارتفاع الصوت و بروزه. فيقال نبر الرجل بنبرة. إذا تكلم بكلمة فيها علو، كما أنه يدل على الهمز، و ذلك لما يروى عن الرسول ﷺ أن رجلاً قال له نبي الله. فقال : لا تنبر باسمي، كما أنه يقال : رجل نبار. بمعنى فصيح الكلام. و كل هذه المعاني أشار إليها ابن منظور¹.

غير أننا إذا ما طلبنا هذا المفهوم - أعني به النبر - عند نحاة العرب نجدهم يربطونه بمظاهر لغوية معينة و محددة، كتحديد ابن جني عما سماه به (همز التذكر) و يذكر أن المراد هو مظل الحركة في آخر الكلمة للإشعار بأنك تريد أن تتذكر لفظاً تالياً لها. فمن قرأ. اشتروا الضلالة. قال في التذكر : اشترووا الضلالة. و من قرأ اشتروا الضلالة. قال في التذكر : اشتروا². و من قال : اشتروا الضلالة. قال في التذكر : اشتروا³.

و قد اختلفت آراء العلماء حول وجود النبر في العربية، إذ لم يكن معروفاً في القديم كما هو الآن و إلى هذا ذهب الدكتور كمال أبو ديب في تأكيده المعنى نفسه⁴. مع إبراهيم أنيس⁴. و بعض الباحثين المستشرقين مثل برجستراسر الذي تحدث عن الضغط في العربية الفصحى قائلاً : "و الآن بعد هذه التوطئة العامة نوجه نظرنا إلى العربية خاصة فتتجيب كل العجب من أن النحويين و المقرئين القدامى لم يذكروا النغمة. و لا يفيدنا ما قالوه، فلا نص نستند عليه في إجابة مسألة كيف كان حال العربية الفصيحة في هذا الشأن؛ و مما يتضح من اللغة العربية نفسها و من وزن شعرها أن الضغط لم يوجد فيها، أو لم يكد يوجد. و ذلك

¹ ابن منظور، اللسان، مادة (نبر).

² الخصائص، ابن جني، ج 2، ص 337.

³ ينظر في البنية الالفبائية للشعر العربي - الد/كمال أبو ديب، ص 06.

⁴ الأصوات اللغوية - الد/إبراهيم أنيس، ص 150.

أن اللغة الضاغطة كثيرا فيها حذف الحركات الغير (كذا) المضغوطة و تقصيرها و تضعيفها و مد الحركات المضغوطة. و قد رأينا أن كل ذلك نادر في اللغة العربية. و إذا نظرنا إلى اللهجات العربية الدارجة وجدنا فيها كلها - فيما أعرف - الضغط و هو في بعضها قوي و في بعضها متوسط. غير أنها تتخالف في موضعه من الكلمة في كثير من الحالات. فمن المعلوم أن المصريين يضغطون في مثل (مطبعة) المقطع الثاني و غيرهم يضغطون الأول. فلو أن الضغط كان قويا في الزمان العتيق، لكانت اللهجات - على أغلب الاحتمال - حافظت على موضعه من الكلمة و لم تنقله إلى مقطع آخر¹.

إن هذا النص على طوله - بغض النظر عن وجود النبر قديما أو عدم وجوده - يحمل تناقضه معه، و ذلك لأنه يفترق بين اللغة الفصحى و الدرجة، و ينفي وجوده في الأول ثم يثبت و يقر وجوده في الثانية، و يدلل على ذلك بكلمة (مطبعة) و طريقة ضغطها. لكننا نعرف أن كلمة (مطبعة) ليست درجة كما يظن. بل هي كلمة عربية؛ ليست هناك فوارق بين الفصحى كما تسمى و بين الدارجة إلا في شيء واحد، هو أن الفصحى تخضع أثناء النطق و الكتابة لقواعد معينة، أما الثانية فإنها لا تخضع أثناء النطق للحركات كالضم و الكسر، أو تكاد لا تخضع.

في حين ذهب "هنري فليش" إلى أن: "نبر الكلمة فكرة كانت مجهولة تماما لدى النحاة العرب، بل لم نجد لها إسما في سائر مصطلحاتهم، تلك التي كانت بالرغم من ذلك وافرة غزيرة. ذلك أن نبر الكلمة لم يؤد أي دور في علم العروض العربي، و هو المؤسس على تتابع مجموعة من المقاطع الطويلة و القصيرة المحددة، فهو على هذا كمي. و لقد لزم واضعو هذا العروض الصمت إزاء موضوعه، تماما كما فعل النحاة و قفى على أثرهم المؤلفون في علم التجويد².

فالنبر في رأي "برجستراسر" لم يوجد في العربية، أو لم يكد يوجد و هو يعلل ذلك بأن اللغة التي يكثر فيها الضغط تحذف الحركات غير المضغوطة و تقصرها، و تضعفها و تطيل الحركات المضغوطة.

¹ التطور النحوي - الداء/رمضان عبد التواب، ص 87-88.

² العربية الفصحى - الداء/هنري فليش، ص 49.

أما إنكار معرفة اللغويين العرب للنبر بادعاء جهلهم لمصطلحه على رأي "فليش" فإنه مردود بعدّهم الهمز و النبر شيئاً واحداً دالاً على الضغط دون أن يفصلوا أو يقننوا له لأنهم لم يهتموا بتسجيل هذه الظاهرة. و ربما لم تلفت نظرهم لعدم تدخلها في تغيير المعنى. و لا يكاد يجيد "النويهي" عن قول المستشرقين عندما يتحسس لقضية النبر و يقصرها على اللغة العامية لأنها خرجت عن قوانين "الخليل بن أحمد الفراهدي" حيث يشير إلى أن: "بعض أغانيها العامية... خرجت خروجاً جزئياً أو كاملاً على النظام العروضي الذي حدده الخليل بن أحمد، فلم تعتمد على مجرد اختلاف بين المقاطع بين قصر و طول، بل أخذت تتبع ترتيب النبر"¹.

و إذا تفحصنا جيداً قوله هذا نجد أنه يؤمن بأن اللغة الفصحى تختلف عن العامية التي تتميز بنبرها الواضح، لكن متى يحدث هذا النبر في اللغة ؟

إن النبر مفهوم تابع للسلم الموسيقي، بل هو النقرة. و لذلك فإن هذا الكاتب نظّر إلى الأغاني العامية بنظرة موسيقية. و لذلك لاحظ أنها خرجت على نظام الخليل، و هذا طبيعي، لأنه شتان بين عمل الخليل و بين عمل الموسيقي. و هو دليل على أن العروض العربي يختلف عن القوانين الموسيقية. أضف إلى هذا أن الأغاني العامية تصبح بالضرورة تابعة للرقم الموسيقي، و إذا ما اعترض الموسيقي لفظ خارج على ما وضعه من لحن فإنه سرعان ما يغير هذا اللفظ و هذا هو المعروف عند الملحنين؛ سواء تعاملوا مع الشعر العامي - كما يسمى - و الذي تعلق به النويهي و تحمس له أم تعاملوا مع الشعر الفصيح مثلما نجد في قصيدة (الأطلال) لإبراهيم ناجي. فهو يقول: "يا فؤادي رحم الله الهوى". لكننا نجد في التلحين و الغناء هكذا: "يا فؤادي لا تسأل أين الهوى". و هذا الأمر يوضحه واحد من إهتماموا بالتلحين و الغناء كابن سينا الملك إذ يقول: "فإن منه ما يشهد الذوق بزحافه بل يكسره فيجيز التلحين كسره و يشفي سقمه و يردد صحيحاً ما به قلبه و ساكناً لا تضطرب فيه كلمة"².

¹ دار الطراز في عمل الموشحات - الد/محمد النويهي، ص 37.

² المرجع نفسه.

و هذا يدل على إختلاف علم العروض عن علم الموسيقى على عناصر الزمان و النبرة أو النبر و المقطع و ما إلى ذلك.

و إذا كان برجستراسر يستبعد النبر في مستوى لغوي فصيح، و يشبهه في الآخر العامي حسب تفكيره، فإن "فايل" لا يفرق بين المستويين مثل "كويار" و لكنهما يتفقان في كون أن الوزن الكلاسيكي و العربية القديمة كثرات لا نعرف أنها تحتوي على نبر ايقاعي بخصوص الشعر.

و إذا كان بعض المستشرقين ينفي ذلك، فإن مستشرقاً مثل "بروكلمان" يثبت وجود النبر في العربية القديمة إذ يقول: "يدخل نوع من النبر، تغلب عليه الموسيقى و يتوقف على كمية المقطع فإنه يسير من مؤخر الكلمة نحو مقدمتها، حتى يقابل مقطعاً طويلاً فيقف عليه، فإذا لم يكن في الكلمة مقطع طويل، فإن النبر يقع على المقطع الأول منها".¹

و هذا التحديد الذي يخص النبر يذكرنا بما وضعه أنيس من قواعد لكي يحدد النبر في الشعر. و يبرر هذا التحليل بأنه أملاه عليه مجيدو القراءات القرآنية قائلاً بعد التعريف و التحديد لماهية النبر: "هذه هي مواضع النبر العربي، كما يلتزمها مجيدو القراءات القرآنية في القاهرة".²

فإذا كان بروكلمان لا ينفي وجود النبر في العربية القديمة ثم يحدد كيفية النبر فإن إبراهيم أنيس لا يقر بوجوده. و لكنه ينطلق من الكيفية نفسها و التي أشار إليها بروكلمان. و هذا يتضح من قول أنيس بأن ليس هناك دليل النبر في العصور القديمة للغة العربية. و قد أثبت خلاف هذا من قبل، إذ قال: "تميز نطق البدوي زمن تدوين اللغة بظاهرة سماها القدماء (النبر) و هي لا تقتصر على تحقيق الهمز في الكلمة المهموزة الأصل، بل تجاوز ذلك إلى تهميز ما ليس بمهموز أصلاً. فكانوا يهمزون الهاء و يهمزون الواو و الياء، و لذلك لقبهم بعض القدماء بأصحاب النبر".³

¹ تاريخ الأدب العربي - كارل بروكلمان، ج 2 ص 61.

² الأصوات اللغوية - الد/إبراهيم أنيس، ص 126.

³ المرجع نفسه، ص 99.

إن الملاحظة التي نسجلها هنا، هي أن أنيس ينفي النبر قديماً ثم يجدده عند مجيدي القراءات القرآنية و قبلهم في نطق البدو في مرحلة تدوين اللغة؛ فما دام النبر غير موجود قديماً فما دعاه إلى تجديده ؟

و ما يمكن استنتاجه إجابة عن ذلك هو أن القرآن يختلف في قراءته عن الشعر. و يختلف عنه تركيباً و نظماً، لكن أنيس بهذا الاعتبار لم يفكر بينهما أصلاً. كما أننا نشعر من نفيه للنبر حيناً، و محاولة تأكيده و إثباته بصورة أخرى أن هناك إنتقالاً ذا مرجعية، و قد يكون هذا الانتقال مجرد إعادة سياغة لنظريات غربية لم يدركها. و حتى إذا جاز لنا أن نفوّت فكرة، فمن باب الإنصاف أن نرد برأي الدكتور رمضان عبد التواب عن المستشرق "برجستراسر" فقال -رمضان عبد التواب - : "أما أنه ليس لدينا نص نستند إليه في معرفة حال النبر في العربية القديمة فهذا صحيح، و أما أن العربية لم تكن تُنبر فإننا نشك في ذلك الذي قاله "برجستراسر"، و هو يغفل في كلامه التطور اللغوي، وتأثير الشعوب المختلفة التي غزتها العربية بعاداتها القديمة في النبر و أثر ذلك في اختلاف موضعه من الكلمة. يبدو الآن في تعدد طرق النبر في مثل كلمة (مطبعة)"¹.

و لو أردنا أن نكتفي بهذا القول رداً لجاز لنا و لكفانا، إنما نزيده توضيحاً في أن المحدثين لم يستضعفوا جهود القدماء في تعاملهم مع الظاهرة الصوتية. فهذا عبد الصابور شاهين يقر : "أن المحدثين لاحظوه كظاهرة ذات تأثير في نسق اللغة المنطوقة. في حين غفل القدماء عن وجوده كظاهرة صوتية تحتاج إلى علاج علمي"².

و لعل هذا ما ينصف القدماء في تعاملهم مع النبر. أما أنهم لم يعرفوه أو لم يستعملوه فهذا مستبعد. أما تعرضهم و تعاملهم معه بمنهج علمي، فهذا ما لا ندعيه عنهم لطبيعة المادة و الوسائل المستعملة آنذاك.

¹ التطور اللغوي -الد/رمضان عبد التواب، ص 127.

² القراءات القرآنية -الد/عبد الصابور شاهين، ص 25.

تعريف التنغيم

تعددت و اختلفت تعريفات العلماء لظاهرة التنغيم. و إذا جاز لنا أن نعهد بحثنا بتعريف أولي نقول : إنه العنصر الموسيقي في الكلام الناتج عن ارتفاع و انخفاض درجة الصوت و الدال على معنى في ذاته. و إذا كنا نختلف قليلا مع بعض العلماء في وجهات نظرهم. فإننا نتفق مع معظم آرائهم. و منها: يذهب عاطف مذكور إلى أن التنغيم : "تنوع الصوت بين الارتفاع و الانخفاض أثناء الكلام نتيجة لتذبذب الوترين الصوتيين فيتولد عن ذلك نغمة موسيقية و لذلك يطلق على التنغيم أيضا (موسيقى الكلام) أو (اللحن)"¹. و الذي يفهم من القراءة الأولية أن التنغيم عنده ناتج عن تذبذب الوترين الصوتيين. ثم إن للصوت أنواع أخرى تتراوح بين ثنائيات أخرى غير ثنائية الارتفاع و الانخفاض. و لهذه الأسباب رأى الأستاذ عاطف مذكور أنه يسمى كذلك (موسيقى الكلام)، أو (اللحن) و الاختلاف بينهما يبين لا ريب فيه.

في حين ذهب الدكتور توفيق محمد شاهين إلى أن التنغيم هو : "الذي يحدد المعنى و يدل على العرض المطلوب، و يضفي على اللغة كمالها"². و نقف هنا لنشرح قليلا ما رأيناه موضوعا لذلك. فتحديد المعاني عند اللغويين و غيرهم من اختصاص علم المعاني الذي تشعبت آفاقه. أما أنه يدل على العرض عند علماء اللغة، فهو غير مقصود بذاته إنما لغاية أسمى سبقته في الذكر. فالكلمات بمفردها صماء لا تفصح عن معانيها بل هي مجرد رموز لمعاني مختلفة و الإنسان هو الوحيد الكفء لإخراج المعاني المتعددة من الألفاظ المحدودة. و لعل أقرب علم عرفه الدرس اللغوي يناسب كلامنا هو علم الدلالة الذي تنوعت ميادينه و مجالاته. إلى أن نصل إلى أن التنغيم يضفي على اللغة كمالها، و كأن الإنسان مهما كانت قدرته و كفاءته في الكلام فهو معرض حتما إلى زلات في النطق أو لحن في الحركات الإعرابية، أو تفخيم ما حقه الترقيق أو غيره فيجيء التنغيم كذلك البلسم الشافي و مبرئ الجراح فيتدارك ما وقع من المتحدث. و لا نكون مبالغين إذا قلنا كذلك؛ إن اللغة دون تنغيم

¹ علم اللغة - الد/عاطف مذكور، ص 135.

² علم اللغة العام - الد/توفيق محمد شاهين، ص 125.

أو تجويد في الكلام ناقصة و غير مضمونة النتائج و قد ذهب النقاد إلى إعادة قراءة بعض النصوص الأدبية، فيستخرجون اليوم ما غاب عنهم من معاني بالأمس القريب. و إذا ذكرت القراءة الأولى و القراءة الثانية في مجال الأدب فهذا فتح لباب الدراسة الأسلوبية الحديثة و هو ما نفضله في مبحث لاحق من هذه الدراسة.

و غير بعيد عن هذه المفاهيم ذكر الدكتور كمال محمد بشر أن التنغيم: "مصطلح يدل على إرتفاع الصوت و إنخفاضه في الكلام؛ و يسمى أيضا موسيقى الكلام"¹. و الذي نقف عليه في هذه العبارة أن التنغيم يسمى أيضا موسيقى الكلام و هي تسمية فرعية. إذ لم يبادر أحدهم إلى تقديم هذا الاسم على الأصل. و ثاني ما نقف عليه هو: هل كل ارتفاع أو انخفاض على مستوى الصوت، يسمى تنغيم؟ و هذا ما نستبعده. فتعريف بهذه الطريقة في الطرح مائع المفاهيم و واسع التأويلات. و المقابلة بين هذا التعريف و ما سبقه تجعلنا نلتبس في هذا الأخيرة هشاشة علمية، إذ هو أقرب إلى التعريف السطحي العام. في حين فصل الدكتور أحمد مختار عمر فيما ذهب إليه معرفا ظاهرة التنغيم أنها: "تتابعات مطردة من مختلف أنواع الدرجات الصوتية على جملة كاملة، أو أجزاء متتابعة"². إن أول ما يشد الانتباه هو الصبغة العلمية التي يكتسيها إذ أن (التتابع) (الدرجات الصوتية) مصطلحات علمية زادت في دقة التعريف. ثم إنه يشترط أن يقع التنغيم على جملة كاملة أو أجزاء منها. و لم يحدد نوع الجملة. المهم أن تكون كذلك. و ليس عجيب إذا اقتضت الجملة على كلمة واحدة و نطبق عليها مختلف أشكال التنغيم. فتتغير كلمة قد يغني عن بعض أجزاء و أركان الجملة.

و ذكر الدكتور محمد الأنطاكي: "إن الطرق المختلفة التي يسلكها لسان ما في درجات الحدة إرتفاعا و إنخفاضاً، في كلماته و تعبيراته تسمى بالتنغيم"³. إن كلاما بهذا العموم و الشمولية يفتح باب المناقشة على مصراعيه. أولها، أنه ليس الإرتفاع و الإنخفاض في أي لسان يعبر عن تنغيم. فهذا كلام عام. فالتنغيم من خصائص و مميزات لغة الإنسان فقط.

¹ علم اللغة العام (الأصوات) - الد/كمال محمد بشر، ص163.

² دراسة الصوت اللغوي - الد/أحمد مختار عمر، ص194.

³ الوجيز في فقه اللغة - الد/محمد الأنطاكي، ص252.

و هل كل الطرق التي يسلكها اللسان في الإرتفاع و الإنخفاض تسمى تنغيم ؟ و لو كانت هذه الطرق عشوائية ؟

و لا يحدث الدكتور إبراهيم أنيس في الأمر شيئا حينما يقول إنه : "يمكن أن نسمي نظام توالي درجات الصوت بالنغمة الموسيقية"¹. فدرجات الصوت تختلف بين الارتفاع و الإنخفاض، و توالي هذه الدرجات يشكل انسجاما نغميا موسيقيا. و نتساءل حينما على سبب استعمال مصطلح (النغمة الموسيقية) دون التنغيم أو موسيقى الكلام ؟ أم وجد فيه بديلا شافيا ؟ و هل مصطلح (النغمة الموسيقية) يساوي مصطلح التنغيم ؟ و هو ما لا نطعن إليه، لأن المصطلحات العلمية قريبة إلى الموضوعية منها إلى الذاتية.

هذه التعريفات و إن قصدت تعريف ظاهرة التنغيم، فهي لم توفه حقه من الشرح و التعليل. فهي على قدر ما شرحت، أبهت المفاهيم. إذ طرق كل من هؤلاء الباحثين جانبا من الظاهرة فحللوه و نظروا له.

يعد الدكتور تمام حسان من الذين أفاضوا في تعريف التنغيم إذ نجده ينطلق في تعريفه مما اشتهر عند سابقيه فهو : "إرتفاع الصوت و إنخفاضه أثناء الكلام"². فهذا تعريف لم يحدد فيه طريق الرفع أو الخفض سهوا منه بل استدرك في مواطن أخرى من المؤلف نفسه أنه : "تختلف طريقة رفع الصوت و خفضه في الإتيات عنها، في الإستفهام"³. فهذا القول اعتراف أن الطرائق متعددة و رفع الصوت يختلف من غرض بلاغي أو أدبي إلى آخر. فمن الأغراض ما يعرف درجة منخفضة و منها ما يعرف بدرجة المرتفعة حتى و لو لم نلفظ بالكلمات أو الجملة.

في حين ذهب الأستاذ "ماريوباي" إلى أن التنغيم : "تتابع النغمات الموسيقية أو الإيقاعات في حدث كلامي معين"⁴. فهل وجود لفظ (تتابع) يفرض تسلسلا منطقيا في النغمات الموسيقية أو الأمر غير هذا ؟ ثم هل كل حدث كلامي يفترض و يحتمل نغمات

¹ الأصوات اللغوية - الد/إبراهيم أنيس، ص 176.

² مناهج البحث اللغوي - الد/تمام حسان، ص 198.

³ المرجع نفسه.

⁴ أسس علم اللغة - ماريوباي، ص 93.

موسيقية ؟ أو بالأحرى؛ هل كل صوت منغم دال على معنى ؟ و لا يمكننا أن نثبت التنغيم على حدث خط. فالكلام مجموعة جمل تامة مفيدة المعاني، و لكل : "جملة من هذه؛ صيغة تنغيمية خاصة فاؤها و عينها و لامها و زوائدها و ملحقاتها، نغمات معينة بعضها صاعد و بعض منخفض"¹.

فالملاحظ أن كل جملة مرسومة بخط ما صيغة تنغيمية؛ و هذه الصيغ غير متناهية. فالفاء و اللام و العين و زوائدها و ملحقاتها تقع عليها درجات صوتية مختلفة. و لا تتفق الجملة مع غيرها إلا في صيغتها التنغيمية. فما هو مثبت في جملة معينة يظهر بشكل و منحى معين و هو الذي تظهر به جملة أخرى من الغرض نفسه؛ و لو كانت الكلمات مختلفة. فهي قوالب موسيقية و نماذج يبقى دور الاستبدال على مستوى المتحدث. "فالجمل العربية تقع في صيغ و موازين تنغيمية هي هياكل من الأنساق النغمية ذات أشكال محددة"². ولعل مصطلحي (هياكل) و (الأنساق النغمية) هما المقصودان بالحديث. فالكلام البشري مجموعة جمل خطية توازيها أنساق نغمية؛ فلا يكتمل أحدهما دون وجود الآخر. و لهذا السبب أدرجه الدكتور ضمن قائمة قرائن التعليق اللفظية في السياق. على غرار بعض قرائن التعليق اللفظية الأخرى، كالتواسخ و الأدوات³. فالكلمات في اللغة العربية تأتي على شكل صيغ محددة تعتبر قوالب لها. ثم إن مجيئ هذه القرائن ذو دلالات. فالزيادة في المباني زيادة في المعاني. فكما كانت زيادة الألف أو التاء في ميزان الصر في زيادة في المعنى أو تخريج المعنى جديد كذلك يعتبر التنغيم، أحد : "الفونيمات الصوتية التي تنتمي إلى ما فوق التركيب تميزا له عن الفونيمات المكوّنة لبنية الكلمة و يتحكم فيها الأداء"⁴. يعتبر الفونيم من المصطلحات اللسانية الحديثة التي يقابله في اللغة العربية مصطلح (الصوت). و هو أصغر وحدة صوتية غير دالة على معنى في ذاتها. و لهذا لا يكتسي التنغيم معانيه في ذاته بل يكتسب مع غيره من الفونيمات المشيلة دلالات و معاني يحدثها المتحدث بها.

¹ اللغة العربية - الد/تمام حسان ص، 226.

² المرجع نفسه.

³ ينظر، م. ن.

⁴ ظاهرة التنغيم في البحث الصوتي - الأ/آمنة بن مالك، ص 321

و هكذا و إن اختلفت تعريفات التنغيم فهي لا زالت تسعى إلى اكتمال تعريف جامع و مانع له. فمن الباحثين من نظر إليه نظرة عالم الأصوات، و منهم من نظر إليه بمقياس عالم الفيزياء و الموجات الصوتية و منهم من نظر له على أساس أنه ظاهرة نحوية.

و إن كانت هذه التعاريف صائبة في مجملها، فالتعريف الذي انطمن إليه هو أن التنغيم: "المصطلح الصوتي الدال على الارتفاع (الصعود) و الانخفاض (الهبوط) في درجة الجهر في الكلام. و هذا التغيير في (الدرجة) يرجع إلى تغيير في نسبةذبذبة الوترين الصوتيين. هذه الذبذبة التي تحدث نغمة موسيقية يطلق عليها مصطلح (التنغيم) فالتنغيم يدل على العنصر الموسيقي بالكلام أي على لحن الكلام"¹. و نضيف، الدال على معنى مع غيره من عناصر السياق.

¹ مصطلحات الدراسة الصوتية في التراث العربي -الأ/آمنة بن مائدة ص406.

الفصل الأول : النبر

المبحث الأول : تعريف النبر

تكاد تتفق الدراسات الحديثة أن النبر بالمفهوم الذي يعرف اليوم هو ذاته الهمز عند القدامى، لهذا وجب علينا أن نعرج غير مقتصرين و لا مطيلين في مفهوم الهمز و علاقته بالنبر.

النبر لغته

"الهمز مثل الغمز و الضغط، و منه الهمز في الكلام لأنه يضغط و قد همزت الحرف فإنهمز"¹.

و الملاحظ من هذه العبارة أن (الهمز في الكلام) فهو لا يقع على صوت بعينه، إنما في الكلام. فكل الأصوات مؤهلة لتحقيق الهمز عليها. و ما المراد و المقصود بهذا الضغط في الكلام ؟ إنما لا نجراً على الإجابة حتى نبين أن المحدثين ساروا بعيداً في تعاملهم مع مادة هذا الموضوع و هي تعرف عندهم باسم (النبر) و مقابله في الإنجليزية (Stree) و بالفرنسية (Accent) و يجب علينا قبل أن نضع مقارنة معجمية بين مجموع هذه المصطلحات.

ذكر ابن منظور في مادة (نبر) : "النبر بالكلام الهمز، و النبر مصدر نبر الحرف بنبره نبرا : همزه، و في الحديث : قال رجل للنبي ﷺ : يا نبيء الله. فقال : "لا تنبر باسمي". والنبر: همز الحرف، و لم تكن قريش تهمز في كلامها. ثم ذكر : و رجل نباراً : فصيح الكلام : و نبار بالكلام : فصيح بليغ. ابن الأنباري : النبر عند العرب : ارتفاع الصوت، يقال: نبر الرجل نبرة : إذا تكلم بكلمة فيها علو"².

¹ لسان العرب، ابن منظور. مادة (همز).

² اللسان مادة (نبر).

و النبر بهذا المفهوم هو الهمز. و ذهب في كلامه إلى أن الرجل الذي ينبر يسمى نبارا و هو فصيح الكلام و بليغ فيه. و إذا لم يذكر صاحبنا علاقة الهمز بالنبر فهو من قبل تحصيل الحاصل فحسبنا من كلامه في مادة (نبر) عن العلاقة بين الهمز و النبر. و أهم ما نخلص له في النصين أن : الهمز = الضغط = النبر. و هذا الذي ذهب إليه كذلك الدكتور عبد الصابور شاهين¹.

النبر اصطلاحاً

من علاقة الأركان الثلاثة نتسلل إلى رأي الدكتور إبراهيم أنيس في تعريفه للنبر قائلاً: "فلعلهم أرادوا به تلك العملية النطقية التي مصدرها الحنجرة حين تتوتر عضلاتها توتراً شديداً و هذه هي الظاهرة التي يمكن أن يطلق عليه التهميز (Glotalisation) أي إثار الهمزة في كثير من الكلمات"².

فتعريف إبراهيم أنيس هذا يحتم علينا الوقوف عند استعماله عبارة (لعلهم) و كأن الأمر غير دقيق و غير مضبوط بمنهج علمي سليم. و غير بعيد عن هذا نسب هذا الأمر للقدامى و أصدر حكماً بعده أن هذه الظاهرة هي إثارة الهمزة أو التهميز. و هذا التهميز هو التوتر و هو ما نستعمله بلفظ (النبر) و في مواطن أخرى فهو يقرر أن : "المرء حين يطق بلغته، يميل عادة إلى الضغط على مقطع خاص من كل كلمة، ليجعله بارزاً أوضح في السمع من غيره من مقاطع الكلمة. و هو الضغط هو الذي نسميه بالنبر"³.

فالضغط من شيم الكلام لغاية الوضوح و بعدما سلمنا معه فكرة أن النبر هو الضغط عند القدامى يفصل لنا عملية النبر و كيف تقع على الأصوات.

"فعند النطق بمقطع منبور، نلاحظ أن جميع أعضاء النطق تنشط غاية النشاط، إذ تنشط عضلات الرئتين نشاطاً كبيراً، كما تقوى حركات الوترين الصوتيين، و يقتربان أحدهما من الآخر ليسمحاً بتسرب أقل مقدار من الهواء، فتعظم لذلك سعة الذبذبة، و يترتب عليه أن

¹ ينظر. القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث. الد/ عبد الصابور شاهين : ص 22.

² الأصوات اللغوية - الد/ إبراهيم أنيس : ص 100.

³ الأصوات اللغوية : ص 170.

يصبح الصوت عالياً واضحاً في السمع¹. فكلما اتسعت الذبذبة زاد الصوت نقاوة ووضوحاً وهكذا نجد أن عملية النبر: "نشاط جميع أعضاء النطق في وقت واحد"² وهو ما لا يحدده في ظواهر صوتية أخرى.

و لم يقف الدكتور إبراهيم أنيس عند هذا الحد بل زاد في شرحه للنبر؛ فما هو إلا شدة في الصوت أو إرتفاع فيه و هما متوقفان على نسبة ضغط الهواء المندفع من الرئتين³. فآلية النبر عملية فيزيائية يقوم بها الإنسان إرادياً. و ليس لهذه العملية علاقة بدرجة الصوت. و غير بعيد عن الوضوح يقف بنا الدكتور تمام حسان معرفاً النبر قائلاً: "وضوح نسبي لصوت أو مقطع إذا قورن ببقية الأصوات أو المقاطع في الكلام"⁴. و حتى إذا ذكرنا الوضوح لا نجده فاحشاً حتى أننا لا نكاد نشعر به إلا إذا قارنا ذلك الصوت ببقية الأصوات الأخرى و المجاورة له في الكلمة نفسها.

و لا يكون تحقيق النبر عشوائياً، إذ يجب توفر مجموعة من عوامل الكمية و الضغط و التنعيم. و يكفي أن يتقوى صوت على صوت آخر داخل الكلمة حتى نسميه منبوراً. فلا يكون النبر إلا عند الاستعمال الحقيقي للكلمات. فالجمل ما لم تستعمل تبقى صماء. و لا نعتقد وجود نبر بمعزل عن السياق، إذ يستحيل وجود ضغط أو وضوح صوت بعيد عن الصيغ. أما محاولة نسبة النبر إلى الكلمات فقد اقتضتها الدراسة و التحليل "حيث لا يمكن ادعاء وضوح سمعي في كلمات و صيغ صامتة"⁵ و يستطرد الدكتور ليعود مفصلاً عملية النبر. فمرجعها: "إلى عنصرين يرتبط أحدهما بظاهرة علو الصوت و انخفاضه و هي ترتبط بدورها بحركة الحجاب الحاجز في ضغطه على الرئتين ليفرغ ما فيهما من هواء، فتؤدي زيادة كمية الهواء إلى اتساع مدى ذبذبة الأوتار الصوتية فيكون من ذلك علو الصوت. و يرتبط العنصر الآخر بتوتر التماس بين أعضاء النطق في مخرج الصوت"⁶. و يعترف الدكتور

¹ الأصوات اللغوية، ص 170.

² المرجع نفسه.

³ م. ن ص 175-176.

⁴ مناهج البحث في اللغة، (الدكتور تمام حسان، ص 160 - اللغة العربية، ص 170).

⁵ اللغة العربية، ص 170-171.

⁶ المرجع نفسه.

تمام حسان أن : "الضغط، بمفرده لا يسمى نبرا و لكنه يعتبر عاملا من عوامله. و مع هذا فإنه يعتبر أهم هذه العوامل"¹. أما عن العوامل الأخرى المقصودة فهي : الشدة، الحدة، المدة. و إن اختلفت الصيغ العملية للنبر فهي واحدة و لسنا في مجال ذكرها كاملة لأن هذا ليس من طبيعة البحث . على أن نعود لتعاريف النبر عند اللغويين، فقد سار الدكتور كمال محمد بشر في فلك أساتذته عند تعريفه للنبر : "فالصوت أو المقطع المنبور ينطق ببذل طاقة أكثر نسبيا و يتطلب من أعضاء النطق مجهودا أشد"². فالنبر يقع على الصوت كما يقع على المقطع و لا يتحقق هذا إلا إذا بذل مجهود أشد على جميع أعضاء النطق و هذا ما أقره الدكتور رمضان عبد التواب³.

لا زالت الدراسات و التعاريف التي بين أيدينا تشرى موضوعنا - أي النبر - فهو : "فاعلية فيزيولوجية. لكن هذه الفاعلية ليست اعتباطية، أي إنها لا تصبح مؤسسا حويا لشخصية الوحدة اللغوية عن طريق الإلصاق العشوائي"⁴. فقد نظر الدكتور كمال أبو ديب إلى الظاهرة بالمنظار العلمي -نسبة إلى العلم- و ليست حركة بسيطة إنما هي عملية مركبة. و لما كانت كذلك فهي ليست اعتباطية إذ لا يكفي إلصاق المقاطع عشوائيا حتى نحقق كلمات دالة. إنما يجب أن يضبط الأمر بقانون دقيق و ملزم في جميع الحالات. و يقف الدكتور على تعريف آخر للظاهرة فهو : "فاعلية فيزيولوجية تتخذ شكل ضغط أو إيقال يوضع على عنصر صوتي معين في كلمات اللغة"⁵. فمصطلح (إيقال) أمراد به الارتكاز أو الهمز. و هي لا تخص صوتا معينا إنما على عنصر صوتي و الفرق بين الصوت و العنصر الصوتي جلي. "و يمكن تمثيل هذه الفاعلية باستخدام مخططات بيانية : إذا كان مستوى الضغط في نطق المكونات الصوتية (ك، ت، ب) واحدا و هي متفرقة يمكن وصفه بيانيا بالمخطط التالي"⁶.

¹ اللغة العربية، ص 171.

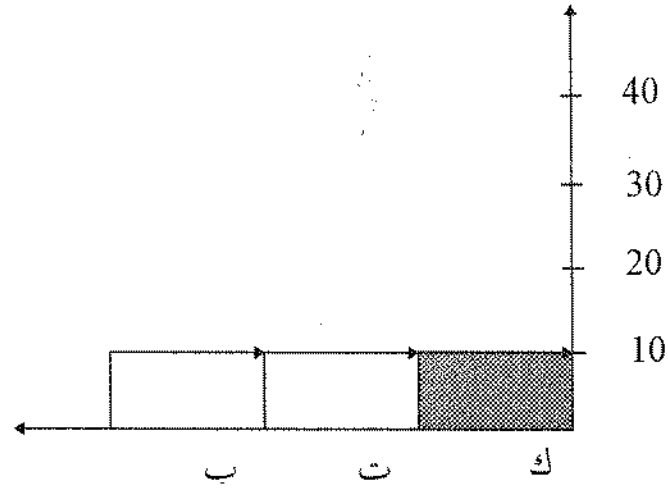
² علم اللغة العام (الأصوات). الد/ كمال محمد بشر ص 162.

³ المدخل المدعى اللغة و مناهج البحث اللغوي. الد/ رمضان عبد التواب ص 103.

⁴ في البنية الإيقاعية للشعر العربي. الد/ كمال أبو ديب، ص 294.

⁵ المرجع نفسه ص 220.

⁶ م. ن ص 220-221.

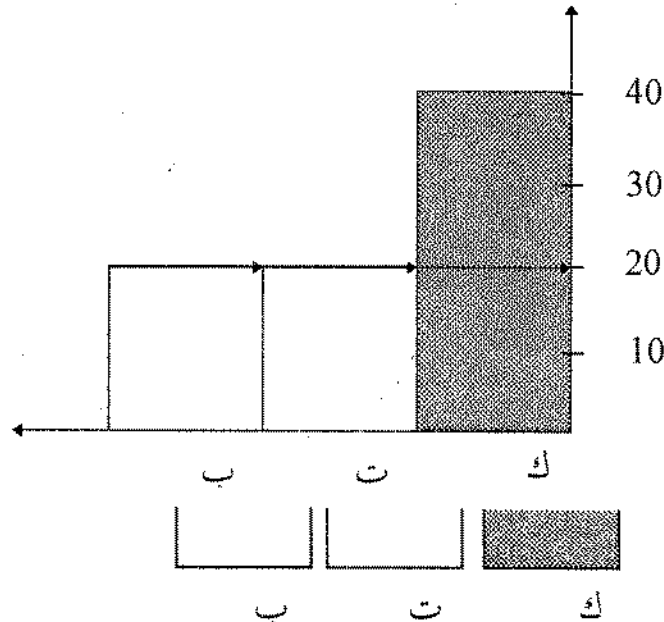


الشكل: 1-أ.

أو بالطريقة التالية :



و إذا توفرت المكونات ذاتها و أردنا هذه المرة أن نضع النبر على (الكاف) مثلا، إكتسبت ثقلا فيزيولوجيا إضافيا على قدر سعةذبذبة الصوت و يمكن تمثيل هذه العلاقة بين المكونات بالمخطط التالي¹ :



الشكل 1- ب

أو بالطريقة التالية :



و يمضي الدكتور كمال أبو ديب في شرحه لظاهرة النبر فهو ذو : "طبيعة إصطلاحية من جهة و ارتباطا بالتركيب الصوتي للكلمة من جهة أخرى"². فلا يمكن فصل أحد طرفي

¹ في البنية الإيقاعية للشعر العربي. الد/كمال أبو ديب، ص221.

² المرجع نفسه، ص295.

الظاهرة. لأنهما وحدة متداخلة وملتحمة. و النبر عنده يصيب: "الكلمات المفردة معزولة عن أي سياق شعري و قائمة بذاتها في حالة وجودية يمكن تسميتها مطلقة"¹.

فلا يشترط الدكتور كمال أبو ديب لتحقيق النبر تجاوز الكلمات من قبل أو بعد، إنما يمكن أن ينبر صوت في كلمة و هي قائمة بذاتها في حالة مطلقة غير مقيدة. أما عن طبيعة النبر اللغوي عنده فهو متداخل و لا تقتصر وظيفته في الجانب التنظيمي الصوتي إنما في الجانب التعبيري الدلالي، أما عن فاعليته فهي: "ليست فاعلية تنظيمية، و إنما فاعلية تعبيرية ترتبط بالمعنى و التجربة النفسية الانفعالية و التعبير اللغوي"². و ما يفهم كذلك أن للنبر دلالات شاعرية نابعة من طبيعته النفسية. و من شعاع هذه الفكرة تنبع: "عملية الخلق الشعري، و محاولة إنتقاء الكلمات التي لها خصائص إيقاعية معينة"³.

و لعل الدكتور كمال أبو ديب وضع لبنة في جوهر عملية الخلق اللغوي و الشعري التي ما زالت تشغل بال الدرس النقدي الحديث.

غير أنه من الممكن إلى هذه التعاريف أن نضيف تعريف الدكتور توفيق محمد شاهين فنجد أنه كذلك يؤكد على فكرة الوضوح السمعي لمقطع من المقاطع داخل الكلمة أكثر من غيره⁴. فهو لم يحدث في الأمر شيئاً و: "يتحقق النبر بالنشاط الفجائي الذي يعترى أعضاء النطق حين التلفظ بمقطع من مقاطع الكلمة، فيؤدي ذلك النشاط إلى زيادة في مدة المقطع أو حدثه"⁵. فالعملية و إن كانت إرادية فهي كذلك فجائية تعترى الأصوات أو المقاطع. هذه الفجائية في النشاط تؤدي إلى زيادة في مدة المقطع، أو حدثه، فكلما زادت المدة بقيت الحدة ثابتة. و العكس صحيح.

لا نكاد نبرح تعريفا لعالم حتى يطل علينا آخر يشير فينا حب الفضول لمعرفة أكثر موضوعية و هذا بتنوع مصطلحاته فبعدها أطلت علينا تعاريف بمصطلحات معنية ك: (الهمز، الإرتكاز، الضغط، الوضوح) نقف على غيرها عند الدكتور عاطف مذكور حينما

¹ في البنية الإيقاعية للشعر العربي. الد/كمال أبو ديب، ص295.

² المرجع نفسه.

³ م. د.

⁴ بنظر علم اللغة العام. الد/توفيق محمد شاهين ص113.

⁵ المرجع نفسه.

شرح عملية النبر: "فالصوت أو المقطع الذي ينطق بارتكاز أكبر من سواه في كلمة من الكلمات (يبرز) بروزا موضوعيا من سائر الأصوات أو المقاطع التي يجاورها"¹. إن عبارة كهذه كفيلة أن تغرس فينا أكثر من فضول. فلفظة (يبرز) يكاد ينفرد بها الدكتور عن سابقه في استعمالها حتى نوشك أن ننسب كل لفظة لصاحبها لتمييزه بها.

فما المراد بالبروز الموضوعي عند الدكتور؟ أهو الوضوح النسبي عند غيره؟ أو لا نحسبه إلا هو. و كأن لفظ الموضوعية هو منطقة الوسط بين الأدنى والأقصى.

و لا ندع هذه الفقرة عن ملازمة الصوت بالمقطع عند الإرتكاز دون أن نتساءل: لماذا لم يحدد الدكتور أن الإرتكاز يقع على المقطع وليس الصوت؟ خاصة بعد إعادته باللفظ الجمع في آخر التدخل و لم يقف في استعمالهما جمعا في هذين الموضعين. بل استعمالهما كذلك عندما شرح الصوت أو المقطع البارز. فهو: "يتضمن طاقة أعظم نسبيا، و يتطلب من أعضاء النطق الخاصة جهدا أعنف في النطق، بالإضافة إلى زيادة قوة النفس"². و لا زلنا نتساءل بعد هذا عن مراد الدكتور بعبارة (جهدا أعنف) ضف إلى هذا عبارة (قوة النفس) الناتجة عن سعة الذبذبة. و بذكره للإرتكاز نجد أنفسنا ملزمين لاستدراج تعريف الدكتور محمد حمادة عبد اللطيف له: "أنه درجة قوة النفس التي ينطق بها صوت أو مقطع"³. و كما هو معلوم أن الأصوات و المقاطع تتفاوت فيما بينها، و كل واحد منها ينطق بدرجة معينة، أما الصوت الأكثر بروزا و ارتكازا فنحسبه الصوت أو المقطع المنبور⁴.

و يعود بنا الدكتور محمد الأنطاكي إلى ترك القدامى هذا الموضوع و عدم اهتمامهم به كثيرا و هذا: "ناشئ عن عدم شعورهم بأي أثر للنبر في تحديد معاني الكلمات العربية"⁵. و قد أغفلوا هذا الجانب. و لا نعتقد أن لفظ الإغفال وارد. أن ما وصل إليه الدرس الصوتي، و ما أثر كفيل بأن يرفض هذه العبارة دون نقاش لها. أما أنهم لم يشعروا أثره في تحديد المعاني فلا نحسبه صائبا. هذا إذا لم نقل إن مثل هذا الكلام في حق جهد قرون ضرب من

¹ علم اللغة العام. - مقدمة للفارسي العربي. الد/عاطف مذكور ص 207.

² علم اللغة العام. - مقدمة للفارسي العربي. الد/عاطف مذكور ص 207.

³ الجملة في الشعر العربي - الد/محمد حمادة عبد اللطيف. ص 125.

⁴ ينظر المرجع نفسه.

⁵ الوجيز في فقه اللغة - الد/محمد لأنطاكي. ص 264.

الأزدراء العلمي. أما عن تعريفه للنبر فلم نجد مجددا فهو عنده: "نشاط فجائي يغتري أعضاء النطق أثناء التلفظ بمقطع من مقطع الكلمة"¹. و مجده يفصل قليلا طبيعة هذا النشاط "إذ يؤدي إلى زيادة في واحد أو أكثر من عناصر المقطع الآتية وهي المدة و الشدة و الحدة"². هذه العناصر التي نجد الدكتور مصطفى حركات يكون منها النبر عندما عرف النبر أنه يكون: "بواسطة الشدة في النطق أو ارتفاع النغمة أو المد"³. و أضاف النغمة و هي أساس عنده إذ لا يمكننا أن نبر صوتا دون أن نحدث نغمة مميزة أو صوتا مصاحبا للمقطع المنبور. أما الدكتور أحمد كشك فلم يفصل تعريفه للنبر فهو عنده ضغط على مقطع من المقاطع المشكلة للكلمة و يضيف أمرا مفاده أن: "حصيلة الأنبار تشكل المجموع الصوت للجملة"⁴. فالكلمات تتفاوت مواضع و مواطن نبرها و اختلاف هذه الأنبار يحدث جرسا موسيقيا يسمى التنغيم.

و لا مناص أن نتفق مع الدكتور حينما أقر أن النبر: "نشاط ذاتي للمتكلم ينتج عنه نوعا من البروز لأحد الأصوات أو المقاطع بالنسبة لما يحيط به"⁵. و هذا البروز يقتضي طاقة زائدة و جهدا عضليا إضافيا.

و هكذا و بعد استقراء هذه التعاريف يمكننا أن نشكل صورة أو لمحة في مفهوم النبر. فمن الناحية الفيزيولوجية؛ فهو مضبوط بضغط الهواء خارج القفص الصدري مع اتساع فيذبذبة صوت ما. محدثا بروزا لصوت دون غيره داخل الكلمة الواحدة. هذا المقطع أو الصوت ينبر بضوابط و مقاييس سنفق عندها في موضعها من هذه الدراسة.

و لا نجد تعاريف الغربيين ممن اهتموا بتحليل الظواهر الصوتية تخالف ما ذهب إلىه الدراسات العربية. و إن اختلفت معظمها في وجهة النظر فإن معظمها متفق أنه: "إشباع مقطع

¹ المرجع نفسه. ص 262. و ينظر: المحيط ج 1/ص 22.

² المرجع السابق.

³ الصوتيات و الفونولوجيا - الد/مصطفى حركات. ص 34.

⁴ من وظائف الصوت اللغوي - الد/أحمد كشك. ص 55.

⁵ النبر و التنغيم في اللغة - الد/مناف مهدي محمد الموسوي، مجلة اللسان العربي. العدد 35، سنة 1991، ص 93.

من المقاطع بأن تقوي إما إرتفاعه الموسيقي أو شدته أو مداه أو عدة عناصر من هذه العناصر في نفس الوقت و ذلك بالنسبة إلى نفس العناصر في المقاطع المجاورة¹.

إن الجديد في هذا التعريف هو مصطلح (إشباع) فهل المراد به كذلك زيادة مد الصوت. ثم إن "كانتينو" قد فصل في استعمال فهو ذكر المقطع دون أن يرفقه بالصوت كما فعل سابقون في هذه الدراسة.

و على هذا الأساس، فالنبر و إن تعددت وجهات معالجته فهي متفقة في جمهورها على معنى واحد جامع.

¹ الأصوات العربية، جان كانتينو، نفلا عن : مصطلحات الدراسة الصوتية - أمة بن مالك ص 400.

المبحث الثاني : مواطن النبر عند المحدثين .

عندما حدد "كويار" مفهوم النبر فإنه حدده حسب التفاعيل العروضية و لم يحدده حسب استقرار اللغة نفسها . و يتضح تحديده للنبر كالآتي :

1- الكلمة المتكونة من مقطع متحرك واحد مثل : و ، ل ، ث ، لا يقع عليها بمفردها النبر ، فإذا اتصلت بكلمة أخرى عدت جزءا منها .

2- يقع النبر القوي على الجزء الأول من الكلمات التي تتركب من مقطعين متحركين مثل : لك ، بك ، من ، أو متحرك يتلوه ساكن مثل : كم ، لم .

3- يقع النبر قبل المقطع الأخير في كلمات تتركب من مقطعين قصيرين يتلوها ساكن مثل : بكى ، دنا ، كما .

4- يتحدد النبر في المقطع الثالث من الكلمات التي تتكون من ثلاثة مقاطع أو أربعة ، و التي تنتهي بمقطع متحرك . و إذا كان الحرف الأخير ساكنا ، وقع النبر على المقطع الأخير الساكن .

5- الكلمات التي تتكون من خمسة مقاطع و ما فوق ، تنتهي بمقطع متحرك ، على مقطعها الثالث يقع النبر و يكون ثانويا . و إذا كان المقطع الأخير ساكنا ، يقع النبر على المقطع الرابع الأخير . و يظهر النبر القوي على المقطع الثالث من آخر هذه الكلمة . فإذا كان الأخير ساكنا يقع النبر القوي على المقطع المتحرك الذي يسبقه مثل :

(فضلاء) : يكون النبر القوي على الفاء و النبر الثانوي على اللام الممدودة .

(يضربون) : يكون النبر القوي على الياء و النبر الثانوي على الباء الممدودة .

(ضربتن) : يكون النبر القوي على الراء و النبر الثانوي على التاء .

6- إن الكلمات التي تنتهي بساكن أو بساكنين (في حالة الوقف) لا ينظر فيها الى الساكن الأخير أو الساكنين ، إذ يدخل النبر و يتحدد حسب القاعدة (رقم:4)

7- إن الكلمات نفسها في (رقم 6) يتحدد النبر الثانوي فيها على المقطع المتحرك الذي يسبق الساكن الأخير أو الساكنين الأخيرين وإذا أردنا مثلا لهذين الرقمين (6 و 7) فلتكن كالتالي :

(عربة) : بالوقف . يكون النبر القوي على العين و الثانوي على الباء .

(مسألة) : بالوقف . نبر قوي على الميم و الثانوي على الام .

(سألتهم) : بالوقف . يكون النبر على الهمزة و النبر الثانوي على التاء .

8- (تفضلتم) اذا طبقت عليها القاعدة (6 و 7) يكون النبر آنذاك على الضاد و الثانوي على التاء الأولى، ولكن النبر القوي يكون حينئذ مسبقا بثلاثة مقاطع وهي (تفض) فينتقل النبر إلى الفاء ، التي تستحقه لو كانت هذه الحروف الثلاثة فتكون كلمة قائمة بذاتها وذلك تطبيقا للقاعدة رقم(3).

9- (علامات) بالتونين: إذا طبقت عليها القاعدة (6 و 7) فإن النبر الرئيسي يقع على اللام المتحركة و النبر الثانوي يقع على التاء . فاذا طبقت قاعدة (رقم 8) انتقل النبر الرئيسي إلى العين المتلوة بحرف مد.

وما نلاحظه من قواعد "كويار" النبرية، هو أنها أعقد من قواعد الخليل نفسها أضف إلى ذلك الإضطراب الذي يشوب هذه القواعد النبرية. ولننظر إلى القاعدة (رقم 7) لنرى أن الكلمتين مثل : (سألتهم، مسألتان) لا يختلفان في قاعدة النبر. وهذا أمر يحمل على الشك وقد لاحظ هذا "محمد شكري عباد" حيث يشير إلى أنه إذا استطعت أن تنطق كلمة (تضربون) و (ضربتن) كما حددها "كويار" فإنك تجد أن الكلمتين تقتربان من الإيقاع الموسيقي و تبتعدان عن الإيقاع العادي : "مما يدل على تأثير "كويار" تأثيراً شديداً بالإيقاع الموسيقي"¹.

فهو يقسم التفاعيل إلى ثلاث مجموعات ميمنا النبر فيها كالآتي :

1- "فاعلن "فاعلاتن

2- "فعو - لن "مفاعيلن" مفاعلتن

3- "متفاعلن "مستفعلن

ويستثنى "مفعولات" لأنه يرى ذلك منافيا للوزن العروضي العربي. ومن ثمة، فإن

تحليله الموسيقي للعروض العربي كان :

الطويل : فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن

¹ موسيقى الشعر العربي - الد/محمد شكري عباد، ص 45.

المديد : فاعلاتن فاعلسن فاعلاتن

البسيط : مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن

الخفيف : فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن

الوافر : مفاعلتن متفاعلن فعولن

الكامل : متفاعلن متفاعلن متفاعلن

الرجز : مستفعلن مستفعلن مستفعلن

وما يمكن أن نسجله بالنسبة للنبر في مجموعة التفاعيل أو النبر الموجود في البحور كما يحدد "كويار" هو أنه يمكن لكل تفعيلة أن تختلف مكان الأخرى في المجموعة" على حين أنه لا يمكن أن يحيلها إلى تفعيلة في مجموعة مغايرة ثم إن التغيير يصير في داخل كل مجموعة إذا وقع في المقاطع غير المنبورة : مفاعيلن تصير مفاعلن، و مفاعلتن تصير مفاعلن¹. والرحاف يكون في الأماكن غير المنبورة، كما يرى "كويار". لكن هذا غير صحيح إطلاقاً؛ ذلك لأن تغيرات كثيرة تتناول المقطع المنبور، فاعلن تصير فعلن، فاعلاتن تصير فعلاتن، فعولن تصير فعول، مفاعيلن تصير مفاعيلن (كل هذه غير جائزة عند العروضيين)... مستفعلن تصير مفتعل. و "كويار" يقف أمام هذه الزحافات و يقف أمام نظرية خلاصتها، أن المقاطع المتحركة في العربية تختلف في الطول حسب نبرها أو عدم نبرها.

"و لناخذ مثلاً (ضرب) مصدراً أو فعلاً ... فكم كل منها نصف زمن في حين أن الضاد التي يقع عليه النبر تكون الزمن القوي. و لهذا يرى "كويار" أن طريقة المستشرقين

¹ موسيقى الشعر العربي - الد/ محمد شكري عباد، ص 76.

* لا بأس أن نذكر بعلامات "كويار" الموسيقية : - : زمن طويل، ب : نصف زمن؛ س : زمن كامل و نصف (و هي المقطع الطويل)، نصف زمن. : زمن كامل؛ أما العلامة : " و فهي ترمز إلى موقع النبر.

السابقين له في تقدير كم المقاطع بحيث يجعلون كل مقطع متحرك غير ممدود و لا متلو بساكن مقطعا قصيرا طريقة غير سليمة ... و لهذا قسم "كويار" المقاطع إلى بسيطة و مركبة بدلا من تقسيمها إلى قصيرة و طويلة"¹.

و على الرغم من تقسيم "كويار" لهذا النوع من المقاطع للغة العربية، فإنه لم يستطع ابراز ظواهر العروض.

و قد اعترف المستشرق "فريتاغ" بأن: "المقاطع التي أخضعوا إليها العربية لا تستطيع أن تكشف عن أسرار الإيقاع، ذلك ما لاحظته هو و غيره من تغيرات تطرأ على كم المقاطع الطويلة و القصيرة في مواضع النبر"².

و من المنطقي أن نحتكم إلى تطبيقات "كويار" نفسه لكي لا نظلم الرجل في تحليلاته للمقاطع. فالمد عنده مثل (فا) في تفعيلة مثل (فاعل) يشغل زمن و نصفا و علامته = س بمعنى أنه ثلاثة أضعاف (ع) حسب قوانينه الموسيقية. و لكننا في التفعيل (فعول) نجد أن النبر واقع على (ع) المضمومة فهي تكون زمن قويا أيضا. فواو المد هنا وقعت بين زمنين قوين فوجب أن تشغل وحدها زمنا ضعيفا، على خلاف ذلك، نجد (ياء المد) في مفاعيلن تتبع مقطعا متحركا غير منبور مسبقا. بعد آخر، و من ثم فهي تقتسم معا زمنا ضعيفا بين زمنين قوين، بمعنى أن كمها يساوي ثلث زمن (فا) و (عي) فهما ممدودان. لكن الأول يحمل النبر و الثاني لا يحمله. و إذا ما سألنا عن سر ذلك لا نجد جوابا و بهذا: "في الفرق على من ينظر إلى التقطيع وحده"³.

و ما نلاحظه كذلك على نبر الأبحر هو أن الأبحر الممتزجة متساوية المقادير موسيقيا. حيث نلاحظ، أن قيم المقاطع مختلفة: "المقطع المنبور (عو) في فعولن - الطويل - يساوي زمنين، زمن قوي و زمن ضعيف، و المقطع المركب المنبور (لا) في فاعلاتن - المديد - يساوي زمنا قويا فقط في حين أن المقطع البسيط المنبور (ف) في فعلن - البسيط - يساوي زمنا قويا و نصف زمن ضعيف ... و أنصاف الأزمنة في بحر كالوافر أكثر عددا منها في الطويل، و أن

¹ موسيقى الشعر العربي - الد/محمد شكري عياد، ص 76.

² المرجع نفسه، ص 74.

³ م.ن، ص 79.

مجموع مقاطع الأول أقل من مجموع مقاطع الثاني، و نلاحظ أن كلا من، الطويل و الكامل و الرجز يخلو من السكتات في حين، أننا نجد ثلاث سكتات في البسيط و سكتة في المديد¹. إن هذا الإضطراب في القوانين الموسيقية، نتيجة حتمية تدل على اختلاف الزمن الموسيقي و أوزان الشعر العربي، نقول هنا مفترضين، أننا بحاري أصحاب النبر لأن الملحن الأمريكي "أون كوبلاند" يشير إلى هذا الاختلاف بين الموسيقيين في مسألة النبر، إذ يقول: "إن الضغط أو النبر - كما نسميه في الموسيقى - يقع عادة على الوحدة الأولى من كل مقدار ... و لكن النغم المنبور، لا يلزم أن تكون الأولى من كل مقدار. إن ملحنى القرن التاسع عشر الذين كان معظم إهتمامهم منصبا على توسيع اللغة الهارمونية للموسيقى قد تركوا احساسهم بالإيقاع يضعف بإسرافهم في استخدام الوحدة المنبورة التي تتردد بانتظام. و هذا النقد يصدق على أعظمهم، و لعل صنيعهم هو أصل فكرة الإيقاع عند مدرس الموسيقى العادي في الجيل الماضي، الذي كان يعلم أن الوحدة الأولى هي دائما الوحدة القوية"². و إذا كان هذا العجز قد تجلى في نظرية النبر عند "كويار" فإن ذلك العجز لم يقتصر عليه وحده، بل ينسحب على كل من اتبع هذه النظرية؛ فإذا ما طبقنا قواعد "كويار" النظرية على الشعرية فإن نلاحظ أن فيها اختلافا و أن قوانينها غير مستقرة.

و لنقدم أمثلة طبقها (عياد) على غرار هذه القوانين حيث يوضح فيها مواقع النبر، و لكنه يشك في ذلك بقوله: "و في نظرنا أن هذا التحليل إن لم يكن صوابا كله، فهو أقرب ما يكون إلى الصواب"³. آخذنا البحر الخفيف كمثال على ذلك كما جاء في تحديد نبر هذا البحر عند "كويار"

فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن

غير مجد في ملتي و اعتقادي ❖ نوح باك و لا ترغم شادي

و يبين لنا بأن: "النبر اللغوي و النبر العروضي يتفقان في البيت الأول اتفاق تاما، إلا في كلمة واحدة من الشطر الثاني، و هي كلمة (و لا) حيث يقع النبر اللغوي بالأصالة بل

¹ موسيقى الشعر العربي - الد/محمد مكري عياد، ص 83.

² المرجع نفسه، ص 90.

³ م. ن، ص 95-96.

لاتصالها بـ (لا) في آخر البيت. إذن إشعار خفيف بالتنافر نجده يشتد دفعة واحدة في البيت الثاني، حيث يتنافر النبران في ست مواضع في الشطر الأول و يتوافقان في موضعين. ثم يعودان في الشطر الثاني فيتوافقان في أربعة مواضع و يتنافران في موضع واحد... هل لهذا التوافق و التنافر قيمة ما¹ ؟

و سرعان ما يجيبنا بأن هذا التنافر و التوافق له دلالة عميقة تدل على الهدوء و الاهتمام. إنه يستثني في كلامه نبرا معينا، و هذا يدل على عدم ثبات في النبر، أضف إلى ذلك أنه كلام يعتمد على الذوق أكثر مما يعتمد على شيئا آخر.

و هذه الظاهرة لا يتفرد بها "كويار" وحده، بل نلاحظ زئبقية النبر عند كل من تبعه من الباحثين العرب. فهذا أنيس الذي تحمس للنبر متناقضا: "فنج مثلاً نلاحظ بين أهالي الصعيد من يختلفون عن القاهريين في موضع النبر أحيانا. فهم حتى في قراءة القرآن يميلون إلى الضغط على المقطع الثالث حين نعد المقاطع من الآخر ... و يظهر الفرق بينهم و بين القاهريين في نبر أمثال: ربنا، عملهم ..."².

فالنويهي الذي ينتقي قواعد، لأنه لم يصل إلى نتيجة ثابتة يطمئن إليها العروضي و غير العروضي اعترف و بشكل واضح بصعوبة نظام النبر و برر ذلك الاخفاق بأن نظام النبر ما زال في مستهله. و هذا التبرير طبعي لأن النويهي يأخذ قواعده كاملة من أنيس و هذه القواعد النبرية التي وضعها أنيس لا تضيفي إلى شيء ذي بال. و لهذا فسيكون: "من الصعب الاستناد إلى النبر كما هو معروف و محدد لدى أنيس"³.

و إذا كان بعض الباحثين حدد النبر و ضبطه على قدر ضغط اللسان على الحروف، فإن "فايل" ضبطه ضبطا مختلفا، إذ أثبت أنه يكون في موضع واحد من الشعر، حيث اعتمد اعتمادا كليا في تحديده على الأوتاد التي اكتشف أنها تمتاز بالثبات. و من ثمة استتب أن الوتد هو الذي يتميز بهذه الميزة النبرية. و من ميز بين نبر الأوتاد و قسمها إلى أوتاد ذات ايقاع أو نبر ثابت و أخرى ذات نبر قافز، و أوتاد أخرى تحمل نبرا صاعدا. لكن هذا

¹ موسيقى الشعر العربي - الد/محمد شكري عياد، ص 96.

² الأصوات اللغوية - الد/إبراهيم أنيس، ص 121-122.

³ حركة الحداثة في الشعر العربي المعاصر - الد/كمال خير بك، ص 331-332.

التحديد نفسه للنبر تحديد مهتز، وذلك لما نلاحظه من اضطراب لأنه أكد بأن (الخبب) بحر نبري أكثر من غيره. ولا يتردد لحظة في أن يوضح بأنه لا يملك وتد. وهذا ارتباط بين عند هذا الباحث، كما أننا - إذا لم ننس ما أشار إليه الخليل وهو العلة - نلاحظ أن الوجد يزول أحيانا. وهذا ما يؤدي إلى القضاء على النبر نفسه. ومن هنا يختفي الإيقاع ويزول بزواله وهذا ما دفع كذلك (أبا ديب) إلى القول: "علة تغير الوجد"¹ في الوحدة النهائية من الشطرين. لكن التحديد غير دقيق، لأن الوجد يزول أحيانا برمته.

لكن أبا ديب لم يسلم هو أيضا من التناقض والتبعية العروضية، بدليل "أنه لم يرفض فرضية" فايل" قولا واحدا ولم يطرحها جملة بل إنتقى منها فأخذ وترك"². وأبو ديب عندما يرفض اعتماد "فايل" على الأوتاد حاملة النبر، فإنما يرفض نظرية الخليل ودوائره التي بنيت على الأوتاد. ونظرا لأنه اتبع منهجا مهتزا، فإن ذلك أوقعه في التناقض، بدليل أنه يعترف في زاوية من زوايا كتابه بأوتاد الخليل قائلا: "وهذه الحقيقة تؤكد صلابة الأسس النظرية لعمل الخليل حين ميز (- - 0) واعتبره نواة وزنية جذرية في أوزان الشعر العربي"³.

و إذا غفرنا له هذا، فإن منهجه يرفض كل من قال بالنبر. ليتفرد بنظرية جديدة. غير أن المنهج كان هو أيضا عاجزا. ويتبين هذا العجز عندما نراه ينكر - من جهة أخرى - نظام أنيس إذ يقول: "ظهر فيها كلها عجز نظام أنيس عن النبر في خلق نماذج إيقاعية منتظمة"⁴.

وهو عندما ينكر هذا فطبيعي، أن ينكر ما جاء به النويهي وذلك يظهر في قوله بأن ما جاء به النويهي من نبر كان ينحصر في نوع واحد من النبر، وهو النبر اللغوي. بمعنى اعتماده على نبر الكلمة المفردة المعزولة عن السياق. ولم يهتم بالنبر الشعري. وهنا يكمن خطأ النويهي في اعتقاد "أبي ديب" لأن النبر كما يراه "أبوديب" هو نبر لغوي وشعري. "لا ينبع من نبر الكلمة المفردة، ولا من بنيتها الصوتية، وإنما من التفاعل بين الكلمات

¹ في البنية الإيقاعية للشعر العربي - الد/محمد النويهي، ص 408.

² في مسألة البديل لعروض الخليل - الد/سعد مصلوح، دفاعا عن "فايل"، مجلة فصول. العدد: 02 يناير، فبراير، مارس 1986، ص 209.

³ في البنية الإيقاعية للشعر العربي - الد/محمد النويهي، ص 207.

⁴ المرجع نفسه، ص 306.

المستخدمة في تعبير شعري على مستوى مختلف تماماً هو مستوى التتابعات النووية الأفقية التي تنشأ من إدخال الكلمات في علاقات تركيبية¹.

و لا يتردد في أن يضع قوانين خاصة بهذا المفهوم - مثلما وضع من قبله "كويار" و أنيس و غيرهما قوانين خاصة - و هي كالتالي :

"الكلمات التي تتألف من نواة واحدة (0-) أو (0--0) لا تحمل نبرا محددًا و هي مفردة. و الكلمات التي تتألف من النواة (0---0) يمكن أن تنبر بإحدى الطريقتين (0---0)، (0---0) أما الكلمات التي تتألف من اجتماع نواتين من النوى الثلاث فإنها تنبر على أساس من صيغة نواة الأخيرة فيها :

1- إذا انتهت الكلمة بالنواة (0-) أو (0--0) فالنبر القوي يقع على الجزء السابق لنواتين النواتين مباشرة.

2- إذا انتهت الكلمة بنواة (0---0) فإن النبر يقع على الجزء السابق للتابع (0---0) مباشرة. أي على الجزء الأول.

3- إذا انتهت الكلمة بالتابع (0 0-) أو (0 0--0) أو (0 0---0) على أساس القانون الأول. و يضيف في السياق نفسه بأنه إذا اجتمعت النوى جميعها و هي (0-) (0--0) (0---0) فإنه يقترح مبدأ نبرها هكذا (0---0-0-0-0). أما إذا اجتمعت النوى متكررة فإن النبر يكون هكذا (0---0-0-0-0)².

إن أول ما يلفت انتباهنا في هذه القوانين هو ذكره للكلمات مفردة. لأننا لا نعرف أهو بصدد الحديث عن القصيدة العربية أم بصدد تحديد نبر الشعر الحر؟ الذي يُحتمل أن تأتي فيه كلمة واحدة في السطر ؟

وما يشير إشكالية أخرى هو تحديده للكلمات التي يقول عنها : "إذا انتهت الكلمة". فهل يقصد الكلمة في البيت عندما تنتهي بهذه النوى ؟

و كما نعرف أن الشعر لا يتألف من كلمات فحسب، بل هناك حروف مثل حروف الجز، و غيرها تدخل في السياق. و هو من المؤمنين بسياق الشعري و مع ذلك فتحديده

¹ في البنية الإيقاعية للشعر العربي - الد/محمد النويهي، ص 311-312.

² المرجع نفسه.

غامض. أهو يقصد بقوله: "إذا انتهت الكلمة" نهاية القافية فقط ؟ و لأن العرب لا تقف على متحرك في حشو البيت تبعاً لمبدئهم الذي يتمثل في عدم البدء بساكن و لا يقفون على حركة. و إذا كان مقصودهم هو القافية، فإنه يهمل السياق. مع أنه يلح على لُبر الشعري و اللغوي في معناهما السياقي.

إن أبا ديب يحاول أن يطبق النبر على الشعر العربي. و هذا يتضح من خلال ما قام به من تحليل لقصيدة أبي فراس الحمداني¹. لكنه في هذا التحليل لا يكاد يبتعد عما قام به عياد عندما طبق قوانين "كويار" النبرية على شعر أبي العلاء. و هو تحليل أقرب إلى الذوق الأدبي منه إلى تحليل علمي يدعي عدم التناقض؛ و هذا العجز الذي اتسم به عمل أبي ديب جعله هو نفسه يعترف به، و إن اتخذ من المخبر ستارا، فهو يعترف بهذا العجز حين يقول إنه "ينبغي أن يشار إلى [أن] بعض البنى الناذرة تفرض مواقعاً للنبر. لا تحددها القواعد المقررة سابقاً"². و يحيل المسألة نفسها إلى موضع آخر. إلى مختبر الصوتيات أنه "يبدو أن تقديم مفهوم النبر المتدرج (1،2،3) مفيد في بعض الحالات مثل: الكامل، و الرجز و المنسرح ... لكن التمييز يظل مبدئياً ينبع من إحساس شخصي ... إلا أن الإشارة إلى النبر المتدرج تجدر على أساس أن ذلك يقدم إمكانيات ينبغي أن تدرس في مختبرات الصوتيات"³.

و قد يكون هذا التناقض هو الذي حمل بعض الباحثين على القول: "إن الكاتب لي طرح في ص 327. ما يسميه هو بعبارته (سؤالاً جذرياً) هو: "ما هي العلاقة بين الكم والنبر في إيقاع الشعر العربي؟ ثم يقرر أن العلاقة في التعقيد بحيث يستحيل في هذه المرحلة من فهمنا للنبر. قلت: فمتى إذن يكون ذلك ممكناً و قد أوشك الكتاب على نهايته؟"⁴

إن كلام أبي ديب يدل على أن النبر مسألة متعلقة بإحساس شخصي كما أشار هو قبل قليل. ثم يؤكد في موضع آخر، يستنبط منه أنه يتعلق بمسألة ذوقية إنشادية عندما يقول: "أن (0---) تصبح بديلاً لـ (0---) في أي موضع حين لا يؤثر اختفاء نبر من (0---)

¹ في البنية الايقاعية للشعر العربي - الد/محمد النويهي، ص 37.

² المرجع نفسه، ص 300.

3. م. ن، ح 349.

م.ف.

على الطبيعة الإيقاعية للتشكل الكلي. فإنقاص نبر خفيف ممكن. لكن زيادة نبر قوي أو خفيف تؤدي إلى تغيير الطبيعة الإيقاعية للتشكل¹.

و ما يشير إليه هذا الكاتب يتوقف على المنشد الذي ينبغي أن ينقص نبرا خفيفا أو لا ينبر بقوة لكي لا يفسد الشعر، و عليه فالمنشد لابد أن نوصيه بذلك.

لكن الإنشاد هو أيضا حالة شخصية و ذاتية، و إذا علمنا أن النبر حالة من حالات الإنشاد فإنه يسهل علينا الحكم. علما أن النبر لا يخضع لقانون علمي يحدده رغم محاولات الباحثين الكثيرة.

فالإنشاد يختلط اختلاط كليا مع النبر و يصعب الفصل بين هذه المفاهيم. و قد نستمد هذا التداخل من أقوال الأدباء القدامى الذين كانوا يتتبعون القراءات. خاصة أن أنيس أخذ قواعده النبرية من القراءات النبرية و منها قراءة الهيثم في قوله تعالى: "أما بالسفينة فكانت لمسكين"². فإنه كان يختلس المد اختلاسا. و إنما سلكه من صوت الغناء كهيئة اللحن في قول الشاعر :

أما القطاة فإني سوف أنعتها ❖ نعتا يوافق عندي بعض مفيها

أي : (ما فيها). فهل قراءة هذا الشاعر و إنشاده عندالم يبح بالمد كان حاجة يعرفها أصحاب النبر ؟

قد يقول أصحاب النبر أن هذا ليس ضغطا و إنما هو عكس ذلك، فنقول بأننا، لا ننكر ذلك. لكن، ألم يكون هناك نبر قوي، و نبر خفيف كما رأينا سابقا ؟

ثم نستطيع أن نقول : إن الإنشاد صورة من صور النبر بدليل قول أنيس الذي اهتم بالنبر كما اهتم بالإنشاد، حيث يقول : "إنشاد الشعر في العصر الحديث يختلف في بعض النواحي الصوتية ... قد يكون الاختلاف بسبب النبر و موضعه من الكلمة. و إذا كان النبر صورة من صور الإنشاد، فإن الإنشاد يختلف من شاعر إلى آخر، فالمشهور عن شوقي أنه كان خجولا. لا يعرف الإنشاد. أما حافظ إبراهيم فكان قوي الإنشاد حسنه"³.

¹ في البنية الإيقاعية للشعر العربي - الد/كمال أبو ديب، ص 213.

² سورة الكهف : الآية 79.

³ موسيقى الشعر العربي - الد/ محمد شكري عباد، ص 165.

و هذا ذو الرمة الذي يقول عنه عصمة بن مالك الفازاري: "كان ذو الرمة حلو العينين، خفيف العارضين، براق الثنايا، واضح الجبين، حسن الحديث، و لكن إذا أنشد بربره و حبش صوته"¹.

و ما دام الإنشاد حالة فيزيولوجية معينة من الأوضاع الجسدية و التنفس، فإنه من الطبيعي أن يختلف من شاعر إلى آخر. و ما دام الإنشاد يتغير و هو صورة من صور النبر - إن لم يكن هو الذي يتحكم فيه - فإن النبر في هذه الحالة يتغير من شاعر إلى آخر. و بهذا فإن أصحاب نظرية النبر لم يوفقوا فيما استندوا عليه و لم يعتبروا بتجارب سابقة. لأن هذه المحاولات العروضية المقطعية و النبرية كانت: "قد تم تجريبها مرارا منذ أمين الريحاني و لكنها أفضت جميعها إلى الفشل التام"².

و مهما يكن، فإن النبر رسم غريب دخيل على الشعر العربي. فهو لا يحل مشكلة السر الذي يتطوي عليه الشعر العربي. ذلك أن النبر لم ينجح حتى في اللغة التي تتميز بالنبر. إذ يقول ناقد إنجليزي، إن الأوزان الإنجليزية نفسها مع أنها أقرب إلى طبيعة النبر و مع ذلك فليس: "من قواعد ثابتة تحدد مكان المقاطع ذات النبر الرئيسي في قربها أو بعدها عن بعض"³.

¹ الشعر و إنشاد الشعر - الد/علي الجندبي، ص 55.

² حركة الحداثة في الشعر العربي المعاصر - كامل خير بك، ص 342.

³ الوزن و القافية و الشعر الحر - فريزر، ص 439.

المبحث الثالث : وظائف النبر اللسانية .

قبل أن نستهل دراسة وظائف النبر، يجب - ومن دون شك - أن نحمل بعض التديقات حول نمطية الأنبار التي تتعلق خصوصا بمقارنة مختلف اللغات فيما بينها.

نمطية الأنبار هذه مقسمة - من العادة - الى مجموعتين : نميز طبعا اللغات ذات النبر الثابت أو القار (مثل الفرنسية، التشيكية، الفنلندية، والإسبانية) أين موطن النبر فيها ظاهر.. بمعنى أنها تتوافق دائما مع مقطع محدد. ونعده إنطلاقا من بداية الكلمة أو من نهايتها.

وهناك لغات فيها النبر حر أين مواطن النبر و مواقعه لا تظهر جليا ويتحدد بالعوامل المورفولوجية و الدلالية.

يقع النبر في اللغة الفرنسية وبنظام على المقطع الأخير المنطوق من الكلمة المعزلة (constitution) أو من التركيب (le chat blanc / est malade) إنه السبب الذي من أجله نقول أحيانا إن هذه اللغة تتسم بتنبير نحوي . وفي المقابل دائما المقطع الأول هو الذي يتلقى النبر في التشيكية (مثلا : prostredekmoyen) و يمكن أن نذكر من بين اللغات التي تنتسب إلى الصنف الثاني: (الإنكليزية، الإيطالية، الألمانية، الإسبانية، و الروسية. وإذا اعتبرناها مثلا أشكال المضارع للفعل (dimenticare) بالإيطالية يمكننا أن نظهر من خلال وضع من وجهة نظر البنية الصرفية أن أشكال الضميرين (نحن، أنتم) تحمل النبر على قاعدة آخر الكلمة (dimentichiamo, dimentricate) و أن كل الأخرى تحمل على الجذر (dimentico, ect) dimentichi) أما في الألمانية إن الكلمات المركبة تحمل مجموعة أنبار متسلسلة في الوظيفة وفق الأهمية الدلالية المختصة بعناصرها المكونة (فون إيسان 1938، دي قرو 1939، بياروشين 1966) أما لغات أخرى مثل : البولونية، المقدونية، واللاتنية، لا يمكنها أن تتصف في قسم اللغات ذات النبر القار إلا من باب التبسيط المفرط للأحداث. لأن هذه اللغات تتلاءم في حالات مميزة مثل اللغات ذات النبر الحر، أين موقع النبر فيها مرهون بالصيغة Morphématique الداخلية للوحدة المنبورة. كذلك على سبيل المثال يتغير النبر في الجذر

الكلمة. matématyk عالم الرياضيات

matématy kowi شرعي

matématy-ka

لهذا من اللازم أن نعتبر هذه التعابير كلغات ذات نبر شبه قار منها على اللغات ذات النبر القار. بمعنى الكلمة (قارد 1968).

إلى هنا استعملنا مصطلح النبر في المفرد و الأنسب أن نتكلم عن "الأنبار" (ليون و مارتنيه 1980) و إذا كان يجب ذلك فيجب أيضا أن نميز في ما بعد (تروبسكوي و جاكبسون) المستوى الموضوعي (أو المرجعي، القيمي) للمستوى التعبيري. إنه يحمل أن نعالج على حدة النبر المسمى بالنغمي الذي يرفع الأول من هذه المستويات و بين النبر الإصراري الذي ينتسب إلى الثاني. إن (بنغرال 1973) يقترح تسمية هذين النمطين بـ: "النبر غير التفخيمي" و "النبر التفخيمي" بينما (روسي 1979) يفضل أن يؤهلها، معتمدا على معايير شكلية. "النبر الداخلي" و "النبر الخارجي".

إذا اعتبرنا أولا النبر النغمي (أو غير المفخم) يجب علينا أن نميز النبر الرئيسي (نبر الجملة) من النبر الثانوي (نبر معجمي) نبر الإلحاح أو الإصراري يعرف متغيرتين: نبر عاطفي (إنفعالي) و نبر فكري عقلي (ماروزو 1924¹، فوشي 1959، غرامن 1960، نروب 1963) في لغات النبر الحر، يعتبر النبر غير التفخيمي ظاهرة مستقلة عن التنغيم لأنه يظهر في وحدة نبرية لا تمتد إلى المجموعة التنغيمية. بينما التنغيم علامة في المجموعة التنغيمية بمثابة مجموعة الوحدات النبرية (روسي 1979) في اللغة الفرنسية، يقع النبر دائما على المقطع الأخير من التركيب، معنى هذا، على آخر (الوحدات المكونة للتنغيم) لسبب أن تأليفة النبر و التنغيم داخل التركيب أين المنغم وحده يضمن الوظيفة النحوية. ليس من الممكن التعرف على النبر كوحدة مستقلة. و لهذا مسموح أن نتقدم في أن النبر غير المفخم لا يحمل أي وظيفة لسانية متميزة في الفرنسية التي تصبح بهذا الحدث لغة غير نبرية (توجبي 1965، بيلش 1972، روسي 1979).

¹ Marouzou, J (1924), « Accent affectif et Accent Intellectuel », Bull. Société linguistique de Paris.

إن إشكالية وظائف النبر نوقشت من طرف العديد من الباحثين، الذين يجب أن نذكر على الخصوص: (مارتنيه 1965، غارد 1968، بارتنيطو 1979، و روسي 1969، 1979، 1980). إن مارتنييه لا يمنح إلى النبر غير التفخيمي إلا وظيفتين:

الوظيفة التشريفية (التبائية)

الوظيفة التمييزية (تعيينية للحدود)

وتمارس هتين الوظيفتين بالموازي على المحور التركيبي.

إن الوظيفة التألقية (culminative) التي تطبق خاصة حسب مارتنييه على اللغات ذات النبر الحر و يتحول إلى بروز مقطع منبور بالنسبة للمقاطع ذات النغم المتقارب.

و قد وقع في هذا التباين الضيق، الوظيفة التألقية (culminative) التي تعني كذلك النبر غير المفخم، كما يعني النبر التفخيمي الوظيفة المفصلية التي تكون أكثر سطحية خاصة لغات ذات النبر غير المفخم. كذلك اللغة التشيكية لا يبرز النبر غير المفخم في بداية الكلمة.

بينما في اللغة الفرنسية فهو يبين نهاية التركيب. نبر التوكيد الذي يميز غالبا المقطع الأول من الكلمة في اللغة الفرنسية مثلا : je n'ai pas dit 'objectif,mais 'subjectif فإن هذا النوع من

النبر يتحمل هذا العبء. من وجهة نظر الوظيفة المفصلية في هذه اللغة حسب مارتنييه (1961) و برتنيطو (1979) يقبلان أن تكون الوظيفة المفصلية حالة خاصة من الوظيفة التألقية

(culminative) لأن التمثيل لا يمكنه أن يتحقق إلا إذا كان المقطع المنبور محققا و مرتفعاً.

يرفض مارتنييه أن تمنح النبر الوظيفة التمييزية لأنه يحمل هذا المصطلح من معنى مقيد

للوظيفة التمييزية، حسب نظرية مارتنييه لا يمكننا بحق أن نتكلم عن الوظيفة التمييزية إلا إذا

وجدت، مثلا في لغة معروفة المقاطع المزدوجة قابلة لتشكيل نموذج يمكن أن يتكون من

المفارقات التالية [++|, --|, +-|, -+|] بينما هذه التشكيلة المثالية لا يمكن ملاحظتها في

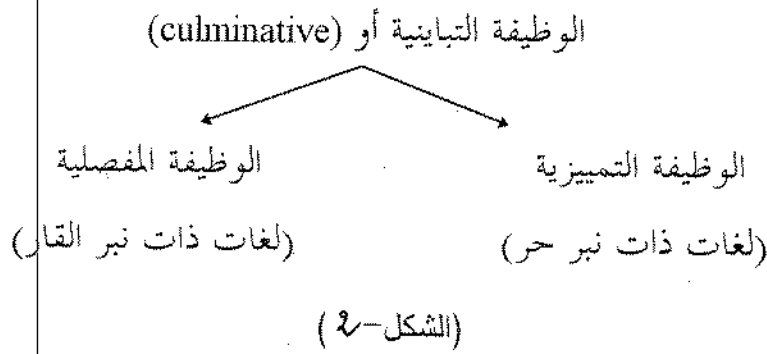
لغات طبيعية أين تتعارض فيها الأشكال النبرية

1- Angl : import (importation) import (importer)

2- Russ : Muka (tourment) Muka (farine)

3- Ital : Canto (je chante) Canto (il chante)

بالنسبة لباحثين آخرين مثل (جاكوبسن و هال 1968، فور 1962، فري 1968، روس 1980) لا مجال للشك في أن النبر غير التفخيمي يتحمل مسؤولية النبر التمييزي. حسب برتنيطو 1979 يمكن أن نوفق بين هذه التفاوتات من وجهة نظر تبني إتفاق إصطلاحي. إذا أدركنا بوضوح المحور النموذجي من المحور التركيبي و إذا احتفظنا بمصطلح (التعارض) حتى نأهل الوظيفة اللسانية للفونيمات و النغمات. لا شيء يتعارض أكثر مع ما نتكلم به في الوظيفة التمييزية للنبر، إذن فهو مسموح لجمع مختلف وظائف النبر غير التفخيمية تحت الرسم التخطيطي التالي:



درست وظائف النبر في علاقتها مع الوحدات الدلالية داخل اللغة (المورفيم، المونيم) من خلال (غاردار 1965) و (روسي 1979-1980) ونحتفظ بالتمييز بين التنبير - و هو ملك للتنبير - و النبر - و هو ملكية الكلمة -.

إن نبر الكلمة ما هو إلا تحقيق لإفتراضية النبر للمورفيات التي تركيبها. حسب هذا المؤلف إن النبر مبين و موضح للمورفيم. كل مورفيم يملك مجموعة من الأنبار المفترضة التي تكون تنبيرها. إن الوظيفة التمييزية للنبر في اللغات ذات النبر الحر ليس إلا نتيجة تابعة لعلاقة النبر بعلم الصرف.

يتمسك روسي (1970-1980) بفرضية غارد مع إلحاقها بعض التغيرات، بالنسبة لروسي إن النبر ملكية للمورفيم و ليس للكلمة، يتحقق النبر داخل الوحدة النبرية و ليس داخل الكلمة. التنبير - بمفهوم غارد - هو المورفيم. و يتأسس على تقابل بين وحدتين نبريتين (deux accentèmes)

١١ مولد عن النبر غير التفخيمي (الداخلي)

١٢ مولد عن النبر التفخيمي.

هذه الوحدات النبرية (accèntemes) يمكن أن تضمن الوظيفة التمييزية بمستويين،
دلالي و صرفي في لغة مثل الإيطالية.

1. على المستوى الدلالي

principe (commencement)

prin cipe (prince)

2. على المستوى الصوتي

in(3 per-plur-subj) ضمير

in(diminutif) مصغر

إن تنظيم الوحدات النبرية (accèntemes) /' و /° داخل الكلمة يتحقق وفق القوانين
الخاصة في كل لغة. كذلك في الإيطالية :

Gal'van + °O + netr + O galvan'ometro (//)

يتغير على اليمين لأن الأفعال وحدها تقبل ثلاثة مقاطع غير منبورة بعد /' / من جهة
أخرى يتحقق النبر في الوحدة النبرية أين /' / ينشأ بروزا نبريا متميزا عن الإرتقاع التنغمي
/ ʔ / ففي المثال :

« Il glva'nometro dell'inge'gnere ʔ / ... »

المجموعة التنغمية المعلمة بـ / ʔ / مكونة من وحدتين نبريتين زالت علامتهما بـ / ʔ / .
حسب نظرية روسي يمكن للنبر غير التفخيمي أن يتضمن في اللغات ذات النبر الحر وظائف
عديدة : وظيفة مزدوجة تمييزية، و الوظيفة المطابقة للمورفيمات و الوظيفة التكاملية للكلمة.
الكلمة إذن لا تقضي على مجموع الفونيمات التي تكونها إنه مدمج بنظام من العناصر النبرية
/° و /' .

و إذا زدنا تأييد وجود النبر غير التفخيمي في الفرنسية يجب أن نوافق أن وظيفته الأساسية هي كونه مولد للوحدات التنغيمية Intonèmes هذا في حالة أنه بالضبط المقاطع مزودة بالوحدات النبرية (accentèmes) // الذي يمكنه وحده أن يشكل مركزا تنغيميا و يستقبل كذلك الوحدة النسقية الدالة¹.

إن نبر التمييز الفكري (النبر الخارجي) و الذي يشتهر خصوصا بالنبر غير التفخيمي (النبر الداخلي) مع ميزته الاختيارية يتعهد بوظيفة مزدوجة، مفصلية و مشددة مقوية. إن وظائف النبر التمييزي المعبر تظل غير مفرقة، و محتمل أن يستند إليها دورا يتعلق بالحدث إلى التنغيم (سوحينو 1976)، يبقى أنه في لغة كالفرنسية إن الأنبار التفخيمية هو في حالة التعرض إلى تغييرات عميقة تتأزر لتجنب أكثر دراسة الفونيمات و بقائها مركبة جيدة (فونجي 1979).

إن مختلف الوظائف التي سبق أن شرحناها ملخصة في الجدول التالي :

نوع النبر	الوظيفة
أ- نبر غير تفخيمي (داخلي) - القار - الحر	- المفصلية - المولد Intonème (الفرنسية) - تمييزي على المستوى الدلالي - تمييزي على المستوى الصرفي - تطابق المورفيمات - تكامل الكلمة
ب- نبر تفخيمي (خارجي) - نبر الإصرار (فكري) - نبر الإصرار (العاطفي)	- المفصلية - التكنفية - التباينية - التعبيرية

الجدول - 2 .

Rossi, M (1980), « Le cadre Accentuel et le mot en Italien et en Français, in Problemes of Prosodie, Léon, P. ¹ et Rossi, M. ed. Studia Phonética, 17, Didier.

المبحث الرابع: اتجاه بناء الأشعار في العربية.

لعل من أهم القضايا التي ينبغي أن يعني بها دارس الخطاب الشعري تلك التي تشمل في علاقة الوزن بالأغراض و المعاني. من حيث إنها عنصران أساسيان فيه. وقد لا يكون في الأمر مندوحة حين يغفل عن هذه القضية. و هي على صلة كبيرة بالموضوع. و في زعم بعض المحدثين أنها لم تلاحظ بالعناية الكافية من لدن النقاد العرب قديما و حديثا، إلا من إشارات خاطفة¹. و السبب في ذلك يرجع إلى أن: "قضية اللفظ و المعنى ارتبطت بالأسلوب النثري عند المتكلمين في الاعجاز. و ارتبطت بالصورة الشعرية عند المعتركين حول أبي تمام و الشعر الفلسفي، فلم يكن لمناقشة الصلة بين الوزن الشعري و المعنى محل فيها"². و حق هذه المسألة أن تدرس في باب الشكل و المضمون. غير أن من الدارسين للشعر العربي من آثر - في بعض الأحيان - محور على أخرى و استأثر أوزاننا لموضوعات معينة قضى بتقبلها و استساغتها. لذلك ذكروا في مواطن كثيرة من نظم الشعر تخير الوزن، و عدّوه عاملا مهما. لذلك قال ابن طباطبا العلوي: "فإذا أراد الشاعر بناء قصيدة فحص المعنى الذي يريد بناء الشعر عليه في فكره نثرا، و أعد له ما يلبسه إياه من الألفاظ التي تطابقه، و القوافي التي توفقه و الوزن الذي يسلس له القول عليه"³.

هذا المنحى الذوقي المعياري في آن واحد، أدى إلى شيوع بعض البحور و تقلص بحور أخرى و تراجعها بسبب تأثير بعض العوامل الطبيعية و القيمية و النفسية على بيئة الشعراء. و الواقع أن ثمة منطلقا أوليا و ثيق الصلة بعملية نظم الشعر، ذلك أنه إنشاء يحضره إيقاع معين تحت تأثير القوة النازمة للشاعر فيستقيم له وزن دون آخر و قد: "يأخذ سهو فينصرف عن الوزن الذي هو آخذ فيه إلى وزن آخر يقاربه على سبيل الغلط، فيكون الخطأ

¹ لفدامة بن جعفر إثارات في هذه القضية، و لكنها لم تأس الجواهر بشيء من تعمق. في حين يستثنى من هذا الحكم حازم القرطاجني الذي أفاض الحديث في هذه المسألة. و يبدو في ذلك متأثرا بأرسطو. أنظر: نقد الشعر - فدامة بن جعفر، تحقيق / عبد المنعم حجاجي. مكتب الكليات الأزهرية: القاهرة. ط1، 1978، ص 209 و ما بعدها. و انظر: منهاج البلاغة - حازم القرطاجني، ص 268. الشعراء و انشاد الشعر - علي الحدي، دار المعارف. مصر 1967، ص 100 و ما بعدها.

² موسيقى الشعر العربي - الد/شكري عباد، ص 152.

³ عبار الشعراء ابن طباطبة، تحقيق محمد زغلول سلام، منشأة المعارف. الإسكندرية. 1980، ص 19.

غير أنس بالوزن الذي خرج إليه، و لا ولع بالاستمرار على ما لم يقدم له إلف له و لا سلف له عمل فيه¹.

على الرغم من تصدي محور الشعر العربي لمواكبة شتى الأغراض و المقاصد نجد حازما يسعى إلى ربط الوزن بالحالة النفسية للشاعر -الباث- و من خلاله ربطه بالمعنى. من حيث كانت الأحوال نفسية جزءا لا ينفصل عن أثرها المتمثل في الكلام المنجز شعرا. و ما يحمله هذا الشعر من معان دالة على ذلك إنشادا و سياقاً و مناسبة. يقول حازم: "و لما كانت أغراض الشعر شتى و كان منها ما يقصد به البهاء و التفخيم و منها ما يقصد به الصغار و التحقير، و جب أن تحاكي تلك المقاصد بما يناسبها من الأوزان و يخيّلها للنفوس. فإذا قصد الشاعر الفخر حاكي و نسج غرضه بالأوزان الفخمة الباهية الرصينة، و إذا قصد في موضع قصدا هزليا أو استخفافيا و قصد تحقير شيء أو العبث به حاكي ذلك بما يناسبه من الأوزان الطائشة القليلة البهاء؛ و ذلك في كل مقصد"².

تجد هذه النظرة صداها الكبير لدى المهتمين بصناعة الألبان قديما و حديثا. و قد رسخها الدكتور إبراهيم أنيس حين عرض هذه القضية بشيء من الإطمئنان مقررًا أن الشاعر في حالة اليأس و الجزع يتخير عادة وزنا طويلا كثير المقاطع يصب فيه من أشجان ما بنفس عنه حزنه و جزعه، فإذا قبل الشاعر في وقت المصيبة و الهلع تأثر بالإنفعال النفسي و تطلب بحرا يتلاءم مع سرعة التنفس و ازدياد النبضات القلبية. و مثل هذا، الرثاء. فهو ينظم ساعة الهلع و الجزع و لا يكون عادة إلا في صورة مقطوعة قصيرة لا تكاد تزيد أبياتها على عشرة. أما تلك المراثي الطويلة فأغلب الظن أنها نُظمت بعد أن هدأت ثورة الفزع.

في هذا السياق تندرج نظرة إبراهيم أنيس في محاولة لرصد الأغراض و ربطها بالأوزان حيث تتسم الحماسة بالثورة و الانفعال النفسي الحاد. و على ذلك، تبنى القصائد على محور قصيرة أو متوسطة الطول. و كذلك شأن المدح الذي يخلو من الانفعال و الاضطراب. فكان

¹ منهاج البلغاء، حازم القرطاجني، ص 209.

² المصدر نفسه، ص 266.

من الجدير أن يكون في محور طويلة كثيرة المقاطع، الطويل و البسيط و الكامل و مثل هذا يمكن أن يقال في الوصف بوجه عام¹.

و إذا نال الدشور إبراهيم أنيس يحدد ارتباط الوزن بالمعنى ارتباطاً مسطوياً على ما يقره التنبؤ العلمي للظواهر، فإن حازماً القرطاجني يحدد ذلك على ما هو ماثل في الواقع الشعري. و لكنه يبيّن رؤيته على أساس ذوقي مشرب بتأثر أرسطي، حيث يقول: "فالعروض الطويل تجد فيه بهاءً و قوة. و تجد للبسيط بساطة و طلاوة، و تجد للكامل جزالة و حسن إطراد، و للخفيف جزالة و رشاقة، و للمتقارب بساطة و سهولة و للمديد رقة و لين مع رشاقة، و للرمل لين و سهولة. لما في المديد و الرمل من اللين كانا أليق بالثناء. و ما جرى بحراه منهما بغير ذلك من أغراض الشعر"².

و إذ يحاول حازم إجلاء هذه النظرة، يبدو و من خلال ذلك تأثره بأرسطو واضحاً أشد الوضوح. إذ يقول: "و ما يبين لك، أن لكل وزن منها طبعاً. يصير نمط الكلام مائلاً إليه، أن الشاعر القوي المتين الكلام إذا صنع شعراً على الوافر اعتدل كلامه و زال عنه ما يوجد فيه مع غيره من الأعارض القوية من قوة العارضة و صلابة النبع. و اعتبر في ذلك بأبي العلاء المعري فإنه إذا سلك الطويل، توقر في كثير من نظمه حتى يتبغض. و إذا سلك الوافر، اعتدل كلامه و زال عنه التوتر"³.

و على الرغم من استفادة العرب من الفكر الأرسطي في دراساتهم للشعر، فإنهم أدركوا حقيقة بنية الإيقاع في كل من العربية و اليونانية. فقد كان إيقاع الشعر العربي أكثر مرونة لملاءمته كثيراً من الأغراض و المضامين. بينما كان لليونانيين "أغراض محددة يقولون فيها الشعر، و كانوا يخصصون كل غرض بوزن على حدة و كانوا يسمّون كل وزن على حدة (...). كانت شعراء اليونانيين تلتزم لكل غرض وزناً يليق به و لا تتعداه فيه إلى غيره"⁴.

¹ بنظر : موسى الشعر - الدشور إبراهيم أنيس، ص 178.

² منهاج البلغاء - حازم القرطاجني، ص 269.

³ المصدر نفسه.

⁴ كتاب الشفاء - ابن سينا. ضمن: فن الشعر، ص 269.

و لما كانت هذه حال الشعر اليوناني، فقد نبه "ابن رشد" إلى عدم الانصياع المطلق للإقتداء بهم، إذ في أشعارهم نماذج "يعسر وجودها في أشعار العرب و تكون غير موجودة فيها، إذ أعاريضهم قليلة القدر"¹.

لذلك يمكن القول -بعيدا عن التوجه المعياري و المفاضلة - بأن الشعر العربي يتميز عن غيره من أشعار الأمم الأخرى بتعدد بحالاته الإيقاعية و مرونتها. و من ثمّ صلاحية البحر الواحد -بأضربه المتعددة- لإستيعاب مضامين شتى لا تنقص من شعريته بقدر ما يتعلق الأمر بروافد أخرى معينة للخطاب الشعري صوتا و صبغة و تركيبا و دلالة. فالشعر العربي "يتحلى برنة موسيقية فاتنة، ليس من الوجهة النغمية، بل من الوجهة الإيقاعية، و هذه الرنة تسمو به و تميزه عن الشعر الأفرنجي حتى أن الأجنبي إذا سمعه طرب لنظامه الإيقاعي، و لو كان يجهل اللغة العربية"².

¹ تلخيص كتاب أرسطوطاليس -ضمن: فن الشعر، ص 232.

² العروض و موسيقى الشعر -مختار خليل الله ويردي. مجلة المعرفة. مج 2، عدد 6. آب 1962، وزارة الثقافة و الإرشاد القومي. سوريا، ص 110. ضمن: البنية الإيقاعية في شعر أبي تمام -رشيد شعلال. رسالة ماجستير، الجزائر 1993.

المبحث الخامس : النبر في اللغات الأوروبية . (نماذج)*

يؤخذ مصطلح النبر هنا بمفهوم واسع و بدون مرجعية إلى الحدث أو العمل العروضي المميز أو إلى أشكال تحقيق جوهريّة أو شكلية.

نعرف في النظرية اللسانية عند مارتنيه و مدرسته أن الأنبار مصنفة و موصوفة بطريقة أخرى غير طريقة الفونيم و نعرف كذلك أن مارتنيه، يميز جيدا بين النبر و النغم. و بالنسبة له تتعاكس الأحداث في الصينية و الأسكندنافية ... إلخ و يمكن أن نذكر أن النبر عنده هو إعطاء قيمة لمقطع واحد بالمقارنة مع غيره من المقاطع. و المقطع المنبور هو الذي يكون إعطاء القيمة فيه لمقطع معين يسمح لإثبات و توطيد التسلسل القائم بين مختلف الوحدات.

و يتكلم بعد هذا عن "التباين داخل السلسلة الكلامية بين مختلف درجات إعطاء القيمة و يتكلم كذلك عن استحالة إقامة نمطين متميزين قابلين للإستبدال" و ينتهي مارتنيه إلى أن "النبر لا يمكنه أن يعمل كخط مميز داخل إطار العلامة لأنه لا يسمح لنفسه أن يميز بين علامة و أخرى ...".

بالنسبة لمارتنيه هذا يصبح الدليل الأساسي الذي يمنع و لا يسمح للنبر أن يكون من بين الأحداث التي تخضع للتمفصل المزدوج (Double Articulation)¹.

ج.و.ف مولدر انضم إلى رأي مارتنيه مشيرا إلى الخاصية الهامشية في آثار النبر. و نحن من رأي أن وصف الأنبار مثل الثانوية داخل المنصومات غير السليمة. و لا يمكننا أن نرفض فكرة أن التباين يكون على المستوى الفونيمي فقط.

نبر الشلّة

في الإصطلاح الحديث نفهم من النبر أنه بروز لبعض الأجزاء من السلسلة المنطوقة على حساب أخرى. و نسمي مقطعا منبورا أو مجموعة فونيمات كذلك بالنبرية أو النغمية.

* لا يمكن احصاء جميع اللغات الأوروبية، ولهذا خصصنا نماذج منها بالتحليل.

¹ Eléments de linguistique générale. A.Martinet, 5^{ème} éd. A. Colin, Paris.

هذا البروز يمكن أن يتحقق بمساعدة مختلف الوسائل الصوتية. ويمكن مثلاً أن نستفيد من تقلبات الشدة الصوتية. في هذه الحالة ندعوه تقليدياً : نشيط. أو مع إرجاع إلى النطق الزفيري و على الرغم من هذا نشك أن فرضية قول الشدة - مهما كان التعريف الذي نعطيه له - تلعب فقط دور إظهار الأنبار التي تسمى بالشدة أو الحركية.

في الواقع نحن نعتقد أكثر فأكثر اليوم أن هذه الأنبار - مهما كان دورها الوظيفي - تتحقق على درجة عالية بمساعدة حدود أخرى غير التنغيم.

تحققنا في مختلف اللغات (الإنكليزية، الفرنسية، الإسبانية) أن اختلافات المدة ساعدت في طبع الاختلافات النبرية و أن المدة تستطيع وحدها الإجابة عن المفارقات الموجودة. بالنسبة للإنكليزية و الإسبانية تحققنا أن الاختلافات التنغيمية (تردد أساسي) فاصلة بالنسبة للنبر، الشدة. و أخيراً وجدنا أن ما يتعلق بالإنجليزية من اختلافات الطبوع الصوتية تستطيع كذلك أن تستبدل بوسائط أخرى حتى تحقق بمفردها أو بالتنسيق مع هذا مفارقات النبر.

على الرغم من هذا نستطيع لأسباب سهلة حفظ مصطلحات النبر (حركية، زفيري) مع اسناد هذا البروز إلى بعض العناصر من الخطاب الذي نسميه تقليدياً النبر (التنبر).

الإستعمال الصوتي لنبر الشدة

إن استعمال هذا النبر (الشدة) في النظام الصوتي يختلف كثيراً من لغة إلى أخرى. أين يتحدد النبر في كثيراً منها بالمعنى. في الإنكليزية كلمة مثل : Import مع نبر على المقطع الأول هي اسم Importation بينما المجموعة الصوتية نفسها مع نبر على المقطع الثاني تعني الفعل يستورد Importer.

في الإسبانية Canto بمعنى : أنا أغني. أما Canto فهي بمعنى : هو يغني. فالتموقع على المقطع الأول أو الثاني هو المسؤول الوحيد في تحديد المعنى. و بالطريقة نفسها:

Cantare(que je chante) /Sub-futur

Cantare(Je chanterai) /Futur-Indi

ونسجل كذلك امكانية وقوع النبر على مواطن ثلاثة و بمعاني مختلفة في الإسبانية مثلاً:

المصطلح Termino

أنا أنتهي Termino

هو إنتهى Termino

بالنسبة للاتينية كان موقع النبر محددًا بحجم المقطع ما قبل الأخير.

Pervenit

Pervenit

وكذلك الروسية التي يغير فيها النبر دلالة الصيغ الصرفية.

في اللغات الجرملانية غير الإنكليزية تلعب تغيرات موطن النبر داخل الكلمة دورًا أقل وضئيلًا داخل النظام. يتعلق الأمر في الألمانية بأدوات الصدارة في الكلمات التي يمكن أن تحمل النبر أو لا تحمله مثلًا :

لغات دون نبر الكلمة

لغات أخرى تهمل هذا الإستعمال للنبر. كما هو الشأن بالنسبة للغة الفنلندية، البولونية، التشيكية... إلخ. في هذه اللغات، النبر يقع دائما على المقطع نفسه من الكلمة سواء كان الأول مثل الفنلندية أو التشيكية، أو ما قبل الأخير مثل البولونية. و تميز بين لغات النبر الثابت و بين لغات النبر الحر. إن النبر القار يتضمن أن موطن النبر ظاهر دائما من خلال عوامل صوتية أخرى. و ليس بالضرورة أن يكون على المقطع نفسه في كل الكلمات.

في هذه اللغات، يستحيل أن نستعمل موطن النبر لتمييز معنى الكلمات أو الأشكال. و هذا لا يعني القول أن النبر مجرد أو خال من القيمة اللسانية.

لا يوجد في اللغة الفرنسية مانع أو حاجز نبري على مستوى الكلمة. كل كلمة تنطق بمعزل لها نبر ضعيف على المقطع الأخير، النبر يختفي غالبا لما نبر المجموعة و تكون الكلمة جزءا منها. إن الخاصية التلقائية للنبر في الفرنسية تتعلق بوضوح بالطريقة التي ينتقل بها النبر في الكلمات و الأسماء الدخيلة على اللغة.

رأينا إلى هنا أن وظيفة النبر في الفرنسية، و في المستهل لتسجيل وحدة المجموعة، و يبين النبر داخل التسلسل المقطعي في اللغة الفرنسية نهاية مجموعة و بداية أخرى. و لنأخذ كذلك المثال التالي :

La belle ferme le voile

فهذا المثال يحمل معنيين مختلفين حسب موقع النبر إما على (Belle) أو على (Ferme) ففي الحالة الأولى (Belle) نسجل أن هذه الكلمة هي صفة للمرأة المعينة و من اللازم أن تصبح (Ferme) فعلا. كذلك يصبح (Le voile) بدوره مفعولا به. لكن إذا وقع النبر على (Ferme) فهي تبين بنفس الحتمية أن (Ferme) موصوف متقدم للصفة (Belle) و أن (voile) هي بدورها فعل. الصفة السابقة للاسم لا تأخذ أبدا النبر في الفرنسية و كل هذا المعنى المحصل عليه مربوط و مرهون بحضور أو غياب النبر على (Belle). إن إنشاقاق هذا العرض الفرنسي إلى مجموعات بمساعدة النبر يحدد التركيب المسؤول عن المعنى الخالص و العقلي للخطاب. أما إذا أردنا نبرا نحويا في اللغة الفرنسية فبالأحرى أن يترجم الأحداث الثانوية فوق هذه البنية القاعدية.

نبر التفخيم

يمكننا أن نضع نبرا أكثر قوة على مقطع من الجملة حتى نعبر عن التفخيم. إن مثل هذا التدعيم يقع غالبا على مقطع لا يكون في الغالب منبورا. إذا قلنا مثلا : c'est très beau : دون قيمة مميزة، فلا نجد إلا نبرا واحدا على (beau) في نهاية المجموعة. و إذا دعمنا كلمة (Très) بنطقها أكثر شدة و أكثر مدة و غالبا يكون على نغم أكثر علو من العادة. و نتحصل بالتالي على تنبير مفخم نضفي به على الكلمة (أو المجموعة كاملة) قيمة تزداد على المحتوى الحيادي للجملة غير المفخمة. في مثالنا سيكون غالبا مزج بين التفخيم الخالص و الإنفعالي. هذا التفرد غائب إذا قلنا على سبيل المثال : je dis sur la table non pas sous la table أو

je parle de l'exportation, non pas de l'importation في هذه الأمثلة المقاطع في الحالة الطبيعية (sous-Im -Ex) تعرف نوعا من البروز. في الحقيقة، الكلمة عامة معنية بمساعدة هذا الجهد المميز و المختلف في المورفيمين، الأمر يتعلق بالعناصر فوق التركيب أو النبرية. تستفيد الفرنسية بنبر الإصرار الذي يتأسس على بروز كلمة (و ليس مقطع) حتى نعبر عن انفعال و توجه معنى مثلا : c'est épouvantable, c'est manifique, c'est affolant في الكلمات هذه المقاطع (pou-ma-ffo) و على التوالي هي مدعمة بشدة و نغم عالي و كذلك خصوصا امتداد في الصامت [e p : u] إلخ، و مهم جدا أن نسجل هنا أن هذه الإمتدادات تميز كل جملة و لهم من هذا ميزة نبرية (فوق مقطعية). هذه النماذج الأخيرة من النبر تلاحمت فيها الأحداث النغمية و الحركية و تناسقت مع الإطلاات لتأخذنا مباشرة إلى عنوان النبر الموسيقي.

النبر الموسيقي

نتكلم عن النبر الموسيقي أو التنغيمي خاصة في الحالات التي تبرز فيها جزء من مقطع بمساعدة إختلاف علو النغم الأساسي. هذه الإختلافات تتحقق أساسا على الصوائت، و لكن تتواجد كذلك على الصوائت الصوتية. الصوائت كذلك لأسباب حثيمة لا تشارك في واقع لحن الكلام الذي تختلف فيه النغمات. فالنغم يتزحلق من علامة موسيقية إلى أخرى في اتجاه متصاعد أو متنازل. و هذا وفق عادات اللغة و عادات المتكلم. و لا يساهم التنسيق في تحقيق أو تدعيم النبر المسمى بنبر الشدة فقط، إنما الأحداث الموسيقية في الكلام تلعب دورا أكبر من الجانب الصوتي في الجملة. و بمساعدة التنسيق يمكننا أن نمح إلى هذا العرض خاصية الإثبات، وخاصة التعجب، النصيح... إلخ) في اللغة الفرنسية (Il Vient) مع تنعيم متنازل نحن في اثبات للسؤال (Il Vient ?) مع نغم متصاعد للسؤال (= Est ce qu'il vient ?). هذا اللحن يشير في الواقع إلى ميزة النهاية أو عديم نهاية العرض. و عندنا نفس النغم المتصاعد في (Il Vient ?) و (S'il pleut ?) في السؤال (Il Vient ?)

و على مستوى أعلى للتواصل يمكن إظهار قيم المعطيات المختلفة من فرح، غضب، التحير، الحقد، السخرية ... إلخ

فكلمة بسيطة و مختصرة مثل (Oui) يمكن أن تحمل المعاني المتنوعة حسب التنغيم الذي نطقها به. البعض من أمثلتنا وضحت أن الشدة و اللحن تمشي أحيانا مع بعض لتحقق تمييز لساني و هذا ليس دائما. في حالة الإثبات باللغة الفرنسية يكون المقطع الأخير هو الأقوى و لكن القمة الموسيقية تكون على مقطع سابق ففي المثال : il ne viendra pas (pas) هي الأصل في أخذ نبر الشدة و لكن (-dra) هي التي تحمل القمة العالية من وجه نظر اللحن.

الوصف التركيبي للعروض و خاصة المتعلق بالجملة لا زال في بدايته. و تحليله أمر معقد بالنظر إلى كثرة التغيرات الموسيقية و الديناميكية التي توجد فعليا في اللغة و بالنظر إلى أن عدة عوامل فيزيائية تساهم في تحقيق نفس التمييز. إن تعريف الوحدات و وظائفها أمر معقد بسبب خلط مستويات الإتصال (niveaux de communication) التي تميز دائما اللغة المنطوقة و بالنظر إلى أن المضامين التي تظهرها التغيرات صعبة المنال. إن تحقيق الأداء صعب بسبب ما نجده في عزل المستويات المختلفة و يوجد في الكلام الملموس تنغيم نحوي في أكثر الأحيان مترابط مع أحداث تنغيمية ذات الطبيعة الإنفعالية و التفخيمية بالإضافة إلى الخصائص الفردية. إن الآلات تسجل كل هذا، إلا أن التجربة مكنت علماء الأصوات من عزل كل المستويات. إن اللغات التي تستعمل الفوارق النغمية لتمييز كلمة ما بالنسبة إلى أخرى تسمى لغات ذات نغمة (Langues à ton) إن للكلمة في بعض الأحيان شكلا نحويا و في هته اللغات تمييز عن غيرها بنغمتها و بفونيماتها التي تشكلها.

و تعتبر اللغتان السكندنافيتان، السويدية و النرويجية مثلا للغات ذات النغمة. و أيضا الليتوانية و السربية و الكرواتية. إن مثل هذا النوع من اللغات شائع خارج أوروبا و المشرق الأقصى و في إفريقيا خاصة و كذلك في أمريكا. و نعطي بعض الأمثلة لتمييز لهذا النوع من التناقضات.

تملك اللغة السويدية و النرويجية نبرين : 1- نبر حاد 2- نبر منفرج. مثال في

السويدية :

Anden = le canard

Anden = l'esprit

Buren = la cage

Buren = c'est le participe passé de bāra

إن هذه الأمثلة تشهد أن خاصيتها المميزة. إن المنحنيان يظهران فرق المنحنى النغمي أثناء نطق الكلمتين في اللهجة الستوكهولمية (شكل-3). نميز كذلك في اللغة الصينية المتكلمة في بيكين أربعة أنغام فكلمة chu تكتب نسخيا على الشكل السابق وهي تعني الخنزير و banbo و سيدي و يسكن و يعيش و هذا حسب وضعية النغم. نصف هته النغمات على التوالي :

1- عالي و بسيط

2- منخفض و معقد

3- منخفض و بسيط

4- عالي و معقد

و كذلك "البوروية" (لغة إفريقيا الغربية، نيجريا و داهومي) تملك هذه اللغة ثلاثة مستويات : عالي، متوسط و منخفض عكس اللغة الصينية التي تعرف كلمات مركبة من أكثر من مقطع، أما مستوياتها التركيبية فهي :

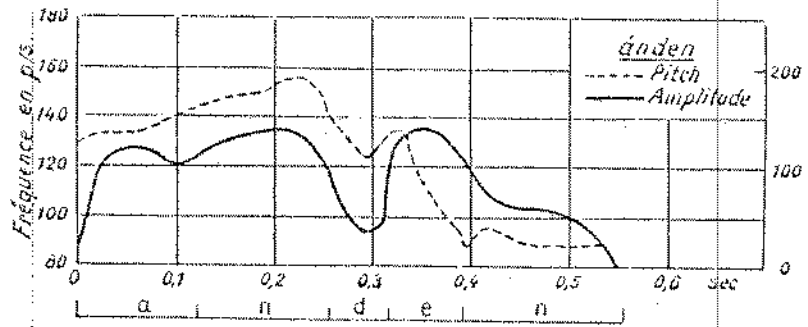
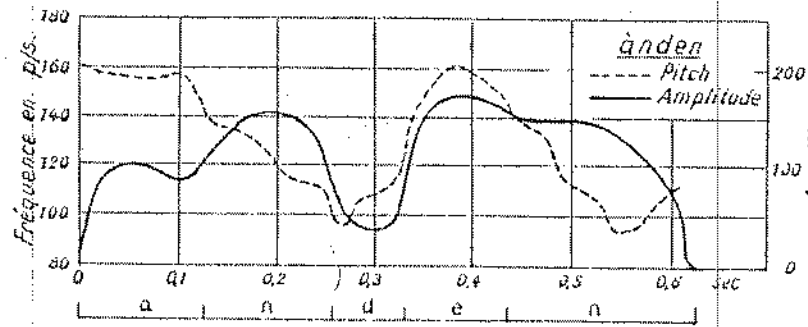
عالي - منخفض	عالي - متوسط	عالي - عالي
--------------	--------------	-------------

متوسط - منخفض	منخفض - منخفض	متوسط - متوسط ... إلخ
---------------	---------------	-----------------------

إن المقطع في هذا النوع يحمل دائما نبرا نغميا Accent Mélodique و مستوى خاصا، عكس السكندنافية أين تكون الكلمة - أو بالأحرى تركيبة لمقطعين أو أكثر - متميزة بنغمة أو أخرى، و يمكننا تسمية هته بالخاصيات الموسيقية المميزة Les traits distinctifs mélodiques و هذه الخاصية تميز المقاطع المتتالية و هي ما تعرف بالوحدات النغمية Des tonèmes. و يوجد أيضا تنظيمات عروضية لا يتحقق فيها نبر الكلمة فيها إلا جزئيا كتمييز نغمي (Différence de mélodies) و أين تظهر الأحداث النغمية في شكل تركيبة مع مميزات أخرى، و كما هو الحال في اللغة الفيتنامية. إن أكثر اللهجات الدانماركية فقدت في الوقت الحالي نبرها النغمي (Accent Tonal) الذي يميز اللغات السكندنافية فيما بينها و التي تطرقنا

إليها منذ قليل و على الرغم من ذلك حافظت هذه اللغات على التناقضات كثيرا أو قليلا على نفس الوظيفة اللغوية.

إستطعنا و من خلال الأمثلة المذكورة أن نقف على آثار النبر التي تلعب دورا على مستويات متعددة للتواصل، مقطع مجموعة مقطعية، مجموعة إيقاعية تركيب مختلف الطول (كلمة، جملة، تركيب). أظهرت لنا الأمثلة أن العناصر النبرية مثل الفونيمات النبرية جزء من محور الاستبدال الذي تتعارض في الوقت نفسه و هي جزء من محور التركيب.



(الشكل - 3 -)

يظهر هنا الفرق النغمي أثناء نطق الكلمتين
في اللمحة المستوحولمة.

المبحث السادس: كمية النبر

إن تحليل الجواهر العروضية يمكن أن يستهل من ثلاثة مستويات مختلفة، حسب مدى اهتمام العنصر الفيزيولوجي بالجانب السمعي أو العنصر الإدراكي. إن المستويين الأولين يمكن أن ينتسب في الاصطلاح إلى ما نسميه بالمجال الإنتاجي، بينما الثالث يتركب من عنصر الاستقبال.

إن علماء الأصوات و المهتمين بالجانب الفيزيولوجي أثبتوا أن إنتاج النبر مشترك مع زيادة في الجهد الزفيري و النطقي و الذي ينعكس على المستوى السمعي مع تغيرات بارزة لمنحنى التردد الأساسي *Fréquence fondamentale* لمنحنى الشدة. و كذلك للشبح و مدة الوحدات الصوتية. بينما يصعب إجراء قياسات مباشرة للقيم الفيزيولوجية و فنيات البحث الحديثة مثل الإلكتروميوغرافيك و الإلكتروليتوغرافيك. إن تحليل الظواهر المضادة للهواء سمحت بتنمية و بكل إحساس معارفنا في هذا المجال و قد فكرنا أنه إذا تحقق النبر بجهد زفيري متزايد، فإن هذا يجب أن يوافق تغيرات مهمة لضغط ما تحت لسان المزمار (*sousglottique*) و المرهون خاصة بعمل عضلات التنفس خصوصا ما بين الأضلع الداخلية (هاكسن 1973، كاتفور 1977)، في حين أنه لا التجارب الإلكتروميغرافية و لا دراسة القيم الديناميكية تؤيد تماما هذه الفرضية. إن أعمال (كارتون، مارشال 1979، بيرغال 1979، فان كاتوجك 1975¹، مارشال 1976) تبين بوضوح أن تحقيق النبر غير التفخيمي لا يتوافق بتغير حساس للضغط تحت لسان المزمار. و لكن لا يسري كذلك على النبر التفخيمي والذي يرغمه دائما على الإشتراك في اختلافات مهمة لهذه القمة.

و إذا وجب علينا إهمال الفكرة مثلما اقترح فان كاتوجك 1975 فلا يجوز لنا أن نهمل أن الضغط المزماري يركب الارتباط الفيزيولوجي الأساسي للنبر غير التفخيمي. و يوافق بالمقابل أن نأخذ بالاعتبار ظاهرة الجهد النطقي أين لاحظنا تظاهرات عديدة. هذا

¹ Karwijk, A. Van (1975), « The role of Respiratory effort in Accentuation », Manuscript n° 279/11, inst. for perception, Res, Eindhoven.

الجهود النطقية يمكن أن يتحول مع حركة مزيدة لعضلات الحنجرة و التي هي مسؤولة على مراقبة التردد الأساسي (كولي 1975). إن عضلات المجرى الهوائي مسؤولة عن عمل النطق (كلام، شفة، الحنك، ... إلخ). لاحظ (ستراكا، 1963) أنه تحت تأثير النبر تمتد الصوامت لتفتح، والصوائت لتغلق أكثر. إن الإتصال الذي أقيم بين الناطقين أثناء الإنسداد أكثر اتساعا. (معنى هذا أكثر غلقا) بالنسبة للصوائت المنبورة من الصوائت غير المنبورة، (سببون، 1967). إن امتداد الصوائت البدائية في مقاطع منبورة لوحظ عي مختلف اللغات، (فونغي، 1979). لكن على الرغم من التصورات الحديثة للمناهج الإلكترونية جغرافية و تشعب الدراسات و التي سافت في هذا الإتجاه (فونجي، 1966. سيمدا و هورس، 1970. سواشيمبا، 1974. كولي، 1975. هيروز، 1977). لم تتمكن من القيام بشكل نهائي بمجرد مختلف العوامل الفيزيولوجية التي تضم انتاج النبر. إن تحليل العلاقات السمعية للنبر أعطى الفرصة للدراسات العديدة في أغلب اللغات. يتعلق بهذه الأعمال التي فيها القيم الأساسية للنبر هي التردد الأساسي، المدة، الشدة، والطابع الصوتي وعوامل أخرى تشارك كذلك لكن تحت شكل تركيبات مختلفة عن ظهور النبر غير التفخيمي من النبر التفخيمي. إلا أن الأهمية المختصة لمختلف هذه القيم تتراوح حسب اللغة المعتمدة. كذلك في الفرنسية تظهر المدة للعب دورا أساسيا فيما يتعلق بالنبر غير المفخم. (ديلاتر، 1965. بنغيرال، 1971. واران و سنتار 1978). بينما إختلافات الشدة (ليون و مارتن، 1980) و التردد الأساسي (بنغيرال، 1973. سغينوا، 1976) تكون القيم الأساسية للنبر المسمى بالإصراري، والذي يجب أن نضيف إليها العوامل الثانوية مثل: ضربة اللهاة و تدعيم انفجارات الصوائت الأساسية. في الإنجليزية (فري، 1955. بولنجي، 1958. مادرس و آل، 1971) و في الهولندية (فان كاتويجك و كوفيار، 1976). إن النبر غير التفخيمي مسجل هنا خاصة بإختلافات التردد الأساسي، و بالأحرى الشدة هي التي تضمن هذا الدور في التشيكية و في الألمانية. إن تغيرات الطابع الصوتي لوظيفة النبر هي عادة مؤكدة في غالب اللغات. ولكن بتغيرات مختلفة و تمتد الصوامت النغمية في الإنجليزية لتكون حيادية (تغير بصامت خيادي)

بينما هي معزولة فقط في اللغات الأخرى. (ديلاتر، 1969) إن البحوث الحديثة التي قام بها (فارنتاني و كوري، 1981) حول الجوهر الفزيائي للنبر غير التفخيمي في الإيطالية تضع بوضوح الدور الأساسي للمدة و الطابع (المشكل أولا أو F1 صوائت منبورة هو دائما أعلا من الصوائت النغمية).

في حين إن هذا التفوق للمدة ليس عملا مستمرا، لأنه أكثر أو أقل بالتركيبة النغمية، و كذلك بموقع الكلمة داخل الكلام و كذلك بوظيفتها النحوية.

الملاحظة العامة للصيغة ذات التفعيلات المتعددة للجوهر السمعي للنبر أدت بالباحثين إلى تقدير الدور الإدراكي لمختلف القيم حتى يتحقق هذا التسلسل.

إن المناهج القديمة غالبا ما فشلت لأنها أدركت أن الجهاز السمعي يتقبل بشكل عام تغيرات العلو، الطول، و أن المواضيع تظهر غير قادرة على التعرف بدقة على الجهة التي تعود على عامل (بيغول 1962. غيسنهفن و بلوم 1978).

إن تركيب الكلام الذي يسمح بتغيير و بكل حرية كل واحد من القيم السمعية و تقدير الأحداث الإدراكية التي أوجدتها هذه التغيرات و تكون وسيلة فعالة لدراسة الجوهر السمعي للنبر. إن استعمال هذه المنهجية في حالات عديدة أثبت فرضيات التحليل السمعي، و كذلك تجارب (فري، 1958) التي كشفت أن تغيرات تمثل المؤشر الإدراكي الأساسي للنبر غير المفخم في الإنجليزية. و تأتي فيما بعد حسب ترتيب الأهمية، المدة و الشدة حسب (هيمن 1977) هذا التسلسل يكون في الغالب. و لكن البحوث المتواصلة من طرف (بريتيتو 1980، كوري و فارنتاني، 1981) حول اللغة الإيطالية هي التي قوّت الأهمية البالغة للمدة في هذه اللغة و بخلاف دراسة (روسي 1970) التي تنطبق على لهجة من شمال إيطاليا و التي تؤسس تشغيل منهجية مختلفة، تظهر أن sonie أي الشدة الموضوعية و التي تجعل حركية إدراك النبر المعجمي يتعلق قطعاً بالبروز النبري و المضمون بتوافق القيم أين يمكن للتنظيم التسلسلي أن يختلف كثيرا من لغة لأخرى. يجب أن نسجل أن هذا التسلسل قد يتشوش بتشابكات تعين خصوصا تحقيقات النبر و التنغيم و التي تدرك بسهولة إذا اعتبرنا أن هذه الوحدات العروضية تظهر بنفس الجوهر السمعي. و كذلك دراسة (كوري و فارنتاني) حول

الإيطالية التي تظهر أنه في حالات مقاطع مزدوجة مثل: Papa و Papa¹. المقاطع قبل الأخيرة هي التي تحمل المعلومة الكبرى للتعريف على النبر¹. لأن المقاطع الأخيرة خاضعة لإختلافات المدة و التردد الأساسي التي ترتبط بدقة في تحقيق التنغيم للمجموعة.

إن شدة المقطع الأخير يتركب إذن من علامة التوائب و تكون حاملة للشحنة المعلوماتية القوية، و نلاحظها كذلك في لغات أين تكون لفارقات المدة قيمة صوتية و أن هذه الكمية لا تتكون من عنصر مؤهل أو من بروز نبري (برنستان 1979) و فيما تبقى يسري هذا الأمر على علو اللغات ذات النغم (جندور، 1974).

هذا الذي يبين جليا أن تسلسلات كميات النبر مرهونة بقسط الميزات الشعرية في كل منطوق.

Fernetani, E. and Korris, S. (1981), « Italien lexical stress in connected speech », Proc. of 4 th F.A.S.E.¹ Symposium, ed. Scientifiche Associate, Rome.

الفصل الثاني: التنعيم

المبحث الأول: الإيقاع والبعد النفسي

مفهوم الإيقاع

نسعى من خلال هذا المدخل إلى تحديد المحرى النظري للإيقاع، من حيث كان ظاهرة، و لا يزال ملازماً للشعر، أو هو: "إحدى الخصائص الخطائية للشعر إذ لا نخل و لا ينبغي لنا أن يكون أي كلام بارد فج شعراً".¹

إنما الشعر كلام موزون تتم فيه المقابلة الإيقاعية بين مكوناته التركيبية، بخلاف النثر الذي لا تتم فيه هذه المقابلة و بالتالي فهو كلام غير موزون.

و لقد كان عهد الدارسين بالإيقاع كعهدهم بمختلف قضايا المعرفة الإنسانية من إئتلاف حيناً و اختلاف حيناً آخر. و غالباً ما يتكامل إختلافهم و يتألف إذا نظرنا و أمعنا في البنية الطبيعية للظاهرة التي تتضافر فيها عناصر شتى و متنوعة بتنوع زوايا النظر و منطلقات الدراسة. فثلث كانوا قد اختلفوا في شيء، فذلك لا يتجاوز طرق البحث و أساليب الدراسة بحسب نظرة كل طرف إلى الشعر و فهمه له.

عندما كان موسوما بنوع خاص من التأليف الصوتي المتميز عن مختلف أشكال نظم و التبليغ الأخرى² فقد أحرز نظاماً متناسباً من التناغم يتألف من أنغام مبنية على تباعد طبقاتها العليا و الدنيا. فكأنما هناك تنافر في بنيتها، إلا أن هذا التنافر يغدو مستساغاً بفضل فن الموسيقى: "إذ لو ظلت الأنغام العليا و الدنيا متنافرة لما أمكن حدوث التناغم (...)" ذلك أن التناغم إئتلاف بين الأصوات (Symphony). و الإئتلاف توافق لكن توافق بين ما

¹ عبد الملك مرناض، بنيت الخطاب الشعري، دراسة نثرية لقصيدة أحزان مبنية، درا الحداثة بيروت، ط1. 1986. ص 9.

² يقول الدكتور إبراهيم أنيس: "و للشعر نواح عدة للجمال، أسرعها إلى نفوسها ما فيه من جرس الألفاظ و انسجام في نوالي المقاطع و تردد بعضها بعد قدر معين منها، و كل هذا هو ما نسميه بموسيقى الشعر". أنظر موسيقى الشعر. مكتبة الأنجلو المصرية. ط5. 1981. ص5.

اختلف. و بطريقة مماثلة نجد أن الإيقاع مؤلف من عناصر قصيرة و طويلة يختلف حينا و حيناً تتوافق¹.

و يتجسد الإثتلاف و التنافر على هذا النحو، في مقاطع طويلة و أخرى قصيرة. مما يحقق لها، بعد التكرار نوعاً من الانسجام و التناسب بين العناصر الصوتية المكونة للإيقاع² و لذلك عرفه الفارابي بأنه : النقلة عن النغم في أزمنة محدودة المقادير و النسب³ "الأمر الذي يضيف على الهيكل أو الكيان الشعري قوة حركية تتعاقب فيها الإهتزازات الصوتية و النفسية و تنعكس على الأبعاد الدلالية. فتدخل الطرب على النفس الإنسانية. حتى جعل بعضهم الغناء في المرتبة الأولى لأجزاء الفن. فهو - في نظرهم - تابع للشعر باعتباره تلحيناً له. فقد افتتن به الكتاب و الفضلاء من خواص الدولة العباسية، و أخذوا أنفسهم به حرصاً على تحصيل أساليب الشعر و فنونه. بل ليس الغناء سوى تلحين الأشعار الموزونة بتقطيع الأصوات على نسب منتظمة".⁴ و لقد ذكر "المرزباني" أن "أحمد بن عبد العزيز الجوهري" كتب إليه راوياً من "عمر بن شبة" عن "أبي غسان محمد بن يحيى عن أخيه "عبد الله بن يحيى" قال : "كانت العرب تغني النصب". و تمد أصواتها بالنشيد، و تزين الشعر بالغناء فقال حسام بن ثابت:

تغن في كل شعر أنت قائله ❖ إن الغناء لهذا الشعر مضمّن⁵

و يمثل التناسب المطرد في الخطاب الشعري أهم خواصه، فتصدع ظاهرة التكرار على مستوى البنية السطحية للإيقاع، و بخاصة من ناحية الأداء الفعلي للخطاب (الإنشاد). فيطلق الإيقاع حينئذ : "على الترجيع المنظم في السلسلة الكلامية (La Chaîne parlée) و ذلك

¹ وليام ك. ويزمات كيلنت بروكس، النقد الأدبي: تاريخ موجز، النقد الكلاسيكي، ترجمة حسام الخطيب و يحيى الدين صبحي. مطبعة جامعة دمشق 1974. ص 197-198.

² يذهب أرسطو إلى أن ضرورة الشعر للنفس ترجع عاملين راسخين في الطبيعة الإنسانية : الأولى نزع المحاكاة و الثانية نزع الانسجام و الإيقاع. انظر فن الشعر، ترجمة و تحقيق عبد الرحمن بدوي. دار الثقافة بيروت (د ت) ص 11.

³ كتاب الموسيقى الكبير، ص 436. نقلاً عن: أدونيس، الشعرية العربية. دار الأدب. ط 1. 1985. ص 20.

⁴ ابن خلدون، المقدمة، مج 1، دار الكتاب اللبناني ط 3، 1967، ص 1060. انظر عبد الكريم النشيلي: المنع في علم الشعر و عمله، تحقيق المنهجي الكبير، دار العربية للكتاب، تونس 1977، ص 24.

* النصب في القوافي أن تسلم القافية من الفساد و تكون نامة البناء، لسان العرب. مادة (نصب).

⁵ الموشح - مآخذ العلماء على الشعراء في عدة أنواع من صناعة الشعر. تحقيق. علي محمد البحاري. دار النهضة. مصر. 1965. ص 47. و انظر العمدة، ج 1: ص 84.

بإحساسات سمعية ناتجة عن عناصر تنغيمية مختلفة. الأمر الذي جعل "هوبكنز" يقرر أن النظم ليس إلا خطاب يكرر كلياً أو جزئياً الصورة الصوتية نفسها. من هنا كان الإيقاع لصيق مظاهر متعددة ومعقدة، في الآن نفسه منها ما يتعلق بالإنشاد والوزن. ومنها ما يرتبط بطبيعة اللفظ الصوتية والتركيبية. ومنها ما يتجلى في الأحوال المصاحبة للخطاب الشعري. نفسية كانت أو إجتماعية أو غير ذلك.

الإيقاع والوزن

يرتبط الإيقاع بالوزن إرتباطاً مطلقاً، حتى ليتمكن القول إنه الأداة التي يتحدد الإيقاع بمقتضاها، كما أنه: "الوسيلة التي تمكن الكلمات من أن يؤثر بعضها في البعض الآخر على أكبر نطاق ممكن، ففي قراءة الكلام الموزون يزداد تحديد التوقع زيادة كبرى، بحيث إنه يصبح في بعض الحالات التي تستعمل فيها القافية أيضاً يكاد يصبح التحديد كاملاً. وعلاوة على ذلك، فإن وجود فترات زمنية منتظمة في الوزن يمكننا من تحديد الوقت الذي سيحدث فيه والمتوقع حدوثه".¹

و الحال أن نظرة النقاد والباحثين قد بنيت في بعض الأحيان، على الفصل بين الوزن -الذي هو فعل الإيقاع و رسمه- و بين التراكيب التي تنتظم الإيقاع. كما تنتظم غيره من صور التعبير البيانية والبديعية و سواهما. الأمر الذي أدى إلى تفرد الوزن و فصله عن مضمون التركيب. فكأنما هو ظاهرة فيزيائية أو معادلات رياضية مجردة.²

غير أن بيئة الفلاسفة حسمت الأمر فأكدت الصلة بين الإيقاع والوزن، الأمر الذي جعل ابن سينا يقرر أن قضية الفصل بينهما غير ممكنة؛ وإنما يجري ذلك على سبيل التجربة

¹ كوليريدج؛ سيرة ذاتية، ص 302. نفلاً عن يوسف بكار، بناء القصيدة العربية، ص 208.

² يدخل في هذا السياق التقطيع بالأرقام الثابتة و بالمقاطع الصوتية، تلك المحاولات التي يهدف من وجودها أن تجعل بدلاً لعروض الخليل. ولكنهم نكسوا إذ تعاملوا مع الشعر كما تعامل دوركايم مع الظواهر الاجتماعية حين عدّها شينية أو تماهينها. و هنا يتجلى أثر المنهج التجريبي والطبيين على مختلف الميادين المعرفة الإنسانية: "فالإيقاعيون طبعيون يزعمون أن اللفظ يمكن أن يفهم بمعزل عن المعنى و ذلك بالنظر إلى الشعر كمن لا يفهم لغته". أنظر: شكري محمد عباد، موسيقى الشعر العربي، دار المعرفة، القاهرة، ط 2، 1972. ص 152.

و الإمتحان، قال : "أما النظر من جهة الوزن المطلق و علله و أسبابه فإلى الموسيقى و أما من جهة الوزن الخاص عند بلاد دون بلاد على حكم التجربة و الامتحان، فإلى العروضي".¹

كذلك ظل الوزن مسألة كمية عددية عند الفلاسفة المسلمين فهو يعني : "تعاقب الحركات و السكنات التي تشكل الأسباب و الأوتاد و الفواصل و تكرارها على نحو منظم بحيث يتساوى عدد حروف المقاطع و أزمنة النطق بها في كل فاصلة من فواصل الإيقاع".²

و قد يكون لهذا التوجه الكمي الرياضي مبرره العلمي المتوفر آنذاك باعتبار المسائل العلمية التي يمكن أن تعتمد بالتجربة و الملاحظة لا تعدو أن تكون بسيطة، كما لم يتهيا لها -في ذلك العهد- المنهج المتكامل المحدد الأبعاد، حتى و إن اتسع ليطأ جوانب مكملية من علوم أخرى. لذلك برزت فكرة التناسب العددي في تنظيرهم للإيقاع. و لعلمهم قد استنادوا في ذلك من التفكير اللساني عند اليونان الذي وظف أفكار "فيثاغورث" الرياضية و خاصة فكرة التناسب اللغوي التي ولع بها النحاة الإغريق، فكانت تعني عندهم وحبوب "تكافؤ صيغ لتكافؤ أصناف الكلمات التي صبغت عليها".³

و لقد كان أفلاطون يرى الإنسجام و الإيقاع عنصرين أساسيين في الشعر مردهما إلى النزعة الطبيعية في الإنسان : "فالوزن عنصر عرضي في الشعر، بينما الإنسجام و الإيقاع عنصر جوهري. و في هذا دليل على الارتباط الضروري بين الشعر و الموسيقى".⁴

لهذه النظرة صداها العميق في بنية اللغويين، التي أكدت الصلة بين الإيقاع و الوزن، الأمر الذي جعل ابن فارس يقدر : "أن أهل العروض مجمعون على أنه لا فرق صناعة العروض و صناعة الإيقاع، إلا أن صناعة الإيقاع تقسم الزمان بالنغم و صناعة الزمان بالحروف المسموعة".⁵



¹ جوامع علم الموسيقى: نقلا عن جابر أحمد عصفور، مفهوم الشعر، دراسة في التراث النقدي. المركز العربي للثقافة و العلوم، ص 370.

² إلف كامل الروبي، نظرية الشعر عند الفلاسفة المسلمين: دار التنوير للطباعة و النشر، بيروت، 1983، ص 248.

³ عبد الرحمن الحاج صالح، مدخل إلى علم اللسان الحديث: اللسانيات، المحلة في علم اللسان البشري. جامعة الجزائر، معهد العلوم اللسانية و الصوتية، المجلد الأول، 1971، ص 46.

⁴ أرسطو: فن الشعر، تحقيق: عبد الرحمن بدوي، دار الثقافة بيروت (د.ت)، ص 3.

⁵ منهاج البلغاء و سراج الأدباء، تحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت ط 2، 1982، ص 263. و النظر فن الشعر

و ينتظم الإيقاع -الوزن- من الناحية المادية، أصواتا أو حروفا في الخطاب الشعري وفقا لتتابع الحركات و السكّنات، فتعاقب في تناسب و تماثل تتساوى فيهما الوحدات الصوتية (المسموعة) أو تتشابه بتعاقب الزمن.

و على هذا يؤدي الزمن دورا أساسيا في السلسلة الكلامية في للخطاب الشعري فيميز بين أنواع من الخطاب، مما يسفر عن نموذج إيقاعي متميز (البحر في الشعر العربي) و ذلك ما جعل حازما القرطاجني يقول: "و الوزن هو أن تكون المقادير المنتقاة تتساوى في أرمنة متساوية لاتفاقها في عدد الحركات و السكّنات و الترتيب"¹، مثل هذه النظرة إلى الإيقاع كمثّلها في الشعر الفرنسي² الذي يتم الوزن فيه بواسطة المقاطع، و ذلك بالانتقال من نبر إلى آخر عبر مجموعات إيقاعية (Groupes Rythmiques) فيكون الإيقاع قلبا متماسكا من التنعيم دون أن يختلط ذلك مع الذوق.

و عليه فالوزن هو الفعل الإيقاعي المحسد في صورة متكاملة باعتباره حصيلة نتاجم بين الوحدات الصوتية. بينما الإيقاع هو ذلك الكل المحرد الذي يتساوى فيه جماع العوامل التنعيمية و النفسية و الدلالية و سواها و هو أيضا. " بمثابة آلة أو قاعدة تقابل الآلات الموسيقية (الفارسية أو الهندية) التي كانت قد بدأت تنتشر في المجتمع الإسلامي العربي منذ أواخر القرن الهجري، و يركز هذا التمييز على ما تتصف به اللغة العربية من الترابط النوعي و اللفظي في مقاطع الكلمة مما يوفر لها حسن النظم في صناعة الشعر، و حسن التأليف و السبك بين المقاطع و الأصوات في صناعة الألحان³.

و إذ يتسع مجال الإيقاع فإنما يتجاوز مجرد تناسب الحركات و السكّنات عبر فترات زمنية متناسبة، ليشمل ما يتعلق ببنية الكلمة تارة و بائتلافهما مع نظائرها في التركيب تارة أخرى، ناهيك بتفاعل الصوت و الدلالة، و ما ينجر من ذلك من تناسق فتكامل فتأثير في دورة الخطاب تسمو فيها وظائف اللغة - كما حددها جاكوبسن - سواء ما تعلق منها

¹ الإيقاع في الفرنسية و غيرها من اللغات الأوروبية مشتق من الكلمة الإغريقية (Rythmos) التي تعني الحركة و الانسياب. أنظر خالد سليمان.

الإيقاع في شعر خليل حاوي، مجلة أنجاث اليرموك (سلسلة الآداب و اللغويات)، المجلد 7، العدد 2، ص 7.

² R- GALISSON, D. Coste, Dictionnaire de Didactique des Langues. Hachette, 1976, P 476.

³ أدونيس، الشعرية العربية، دار الآداب، ط1، 1985، ص 19.

بالوظيفة الإنفعالية (Fonction Emotive) المرتبطة بالشاعر المنشد أو بالوظيفة الإفهامية (Conative Fonction) المجسدة لتأثير المتلقي و تفاعله مع الخطاب إنشادا و مضمونا أو بالوظيفة الشعرية (Poétique) النظمية المتولدة عن البيت أو القصيدة برمتها أو ما سوى ذلك من وظائف اللغة¹. و من هنا يتجسد الإيقاع في أشكال شتى : إنفعالية و ذهنية و معجمية ونحوية و صرفية و صوتية وغيرها، مما يجعله طاقة حيوية في الخطاب بوجه عام، تزداد فعاليته في الشعر أكثر منه في النثر غالبا.

البعد النفسي للإيقاع

من الدارسين من لم يفقه ذلك السند النفسي القائم على المنبه و أثره، فقضى لكل سلوك إنساني بدافع -داخل أون خارج- قريب أو بعيد و من مبدأ المنبه و الأثر كان مرد الشعر و قرينته الإيقاع إلى الإنفعال، ذلك أن "في طباع الحيوانات و الإنسان إذا طربت أن تصوت نحواً من التصويت، و الإنسان إذا لحقه أسف أو رحمة أو غضب أو غير ذلك من الإنفعالات صوت أنحاء من الأصوات مختلفة"².

في هذا الإطار تمخضت شاعرية امرئ القيس و الأعشى و النابغة و زهير و سواهم. و من هذا المنبع تألقت في شتى العصور، فبلغت أسمى ما وصلت إليه قريحة شاعر. لقد كانت فيما يروى عند الأول إذا ركب و الثاني إذا طرب و الثالث إذا رهب و الرابع إذا رغب³، و هي بقدر ما كانت ركوبا و طربا و رهبة كانت نشيدا مثيرا طبعه ذلك الوازع الذي غرس في ذات الشاعر فتناقلها الرواة جيل عن جيل بفضل تلك المزية التي ارتبطت بالمطبوع من الشعر العربي. إنها مزية الإيقاع التي كانت عون الرواة في الحفظ و التواتر و مثلها الإلياذة و الإنياذة و الكوميديا الإلاهية.

JAKOBSON, R (1963) ESSAIS de Linguistique Général. Ed. De minuit, PARIS- P 220

² الفارابي، كتاب الموسيقى الكبير، ص 64. نفلا عن، جابر عصفور، مفهوم الشعر، ص 563.

³ ذكر ذلك كثير أو نصيب و يروى أن الأصمعي حكى عن ابن أبي طرفة: "كفالك من الشعراء أربعة : زهير إذا رغب، و النابغة إذا رهب و الأعشى إذا طرب، و عنتر إذا كلب. و زاد قوم : و جرير إذا غضب". أنظر. ابن رشيق، العمد، ج 1، ص 204.

فالإنشاد قوام الشعر و دعامته الأساسية من قبل تحديد قواعد العروض. إذ القصيدة : "ليست مجردة مجموعة من الخواطر أو الصور أو المعلومات، و لكنها بناء متدرج الأجزاء منظم تنظيماً صارماً (...). بحيث لا يند جزء منها عن تناسقه مع بقية الأجزاء الأخرى و تكامله معها تكاملاً مقفولاً".¹

لا يشكل الإيقاع منحى مستقلاً خارج الخطاب الشعري، و لا ينبغي له. إنما يصدر الخطاب كلاً متكاملاً بفعل القوة الناعمة لدى الشاعر، إذ هي : "في أكثر أمرها لا تلاحظ ما يصلح أن يكون عبارة عن المعنى مما ذمه الذكر به ملية عند اقتضائها إياه أول ملاحظتها إلا على الهيئات التي تكون نقل الحركات و السكتات فيها بحسب ما يقتضيه الوزن الذي يريد بناء كلامه عليه، فيولج به الخاطر إلى اللسان موزوناً".²

فأما القوة الناعمة فهي الملكة الشعرية التي تمثل القدرة على إنتاج الخطاب الشعري محلياً بشتى الخصائص و القواعد الكلية التي تدخل في تكوينه، مما يميز الشاعر عن الناثر. وأما ما يولج به الخاطر إلى اللسان موزوناً فذلك هو الإنشاد من حيث الأداء الفعلي (Perfomance) للخطاب الشعري و على هذا يكون التأثير متبادلاً في الكيان الشعري بين الشاعر المتكلم و السياق الاجتماعي، و التصور الذهني المسبق للوزن، ثم التخيير المناسب للألفاظ، و أخيراً المتلقي بصفته طرفاً رئيساً في دورة الخطاب.

في هذا التصور النفسي للإيقاع ذهب ريتشاردز إلى أنه : "هذا النسيج من التوقعات و الإشباعات و الإختلاجات و المفاجآت التي يحدثها تتابع المقاطع"³، مما لا يجعل الإيقاع شيئاً ذاتياً في الكلام بقدر ما هو نشاط نفسي يطبع المتلقي. فالاعتماد على جهاز تسجيل موجات الكيموغراف (kimographe) يظهر المقاطع الصوتية مجرد موجات فيزيائية في الهواء خالية من كل أثر نفسية. و ذلك هو النظم في أبسط صورته. و لكن الإيقاع ليس أي شيء مما يسجله الكيموغراف و لا يتعلق بطبيعة الأصوات نفسها و إن نسبناه إليها. إنما هو أثر

¹ صلاح عبد الصبور، حباتي في الشعر، دار إفريقيا، بيروت 1981، ص 25-26.

² حازم الفرطاحني، منهاج البلغاء، ص 208.

³ شكر محمد عباد، موسيقى الشعر العربي، ص 156.

للنشاط النفسي الذي يتسنى من خلاله إدراك أصوات الكلمات و ما تحمله من معنى مشهور¹

و هذا لا يعني أن المقاطع الصوتية تحمل في ذاتها دلالات الفرح و الحزن إنما يختلف تأثيرها "تبعاً للإنفعال الذي هو موجود فعلاً، و لكن يختلف أيضاً تبعاً للمعنى. فإن ما يرجع إلى العادة، أو إلى روتين الإحساس من ارتقاب الصوت، إنما هو جزء من التوقع العام (...). إن التأثير الصوت يتحدد بالظروف التي يندرج فيها أكثر بكثير مما يتحدد بالصوت نفسه"².

يتجلى الأثر النفسي للإيقاع عندئذ، عن طريق التهيء النفسي الذي يحدثه الأثر الأدبي الجيد من خلال شبكة عظيمة من العادات و المشاعر و الدوافع³. و لهذا اعتقد "إزرا باوند" أن "كل انفعال و كل تطور انفعالي له عبارة لا لون لها، عبارة إيقاعية تعبر عنه"⁴.

و لقد أدرك الفلاسفة ما للشعر من أثر على النفس البشرية بفعل إيقاعه و مضبونه حتى إن بعضهم يسمو به على كل الفنون، فهو يؤدي ما تؤديه هذه الفنون جميعاً بالإضافة إلى أنه "قادر على التعبير عن أعمق أنواع الانفعال العاطفي كما تفعل الموسيقى"⁵ و علاوة على ذلك فإن "الإيقاع و الجناس الاستهلاكي يرضينا، لأن الذات في حالة التكرار المنتظم لصوت واحد وسط أصوات متنوعة و مختلفة، تكشف شيئاً مماثلاً بطبيعتها الجوهرية بوصفها وحدة في اختلافهما"⁶.

و إذا كان الشعر العربي غنائياً كما تزعم كثير من المصادر فإن "المبدأ الذي يركز عليه الشعر الغنائي هو الذاتية. فليست الصورة الخارجية للأحداث هي التي يعبر عنها شعر هنا. بل الحياة الباطنية لروح الفرد. فالقصيدة الغنائية هي بالضرورة تعبير عن شخصية جزئية معينة. عن مشاعره الخاصة و ميواجهه و أفراحه و أتراحه و أحزانه و آماله و مخاوفه"⁷.

¹ شكر محمد عباد، موسيقى الشعر العربي، ص 156.

² المرجع نفسه، ص 157-158.

³ م. ن، ص 159-160.

⁴ م. ن، ص 163.

⁵ ولترستينس، فلسفة هيجل، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام. دار الثقافة للطباعة و النشر، القاهرة 1975 ص 668.

⁶ المرجع نفسه.

⁷ م. ن. ص 270.

و تظهر الآثار النفسية للإيقاع بوضوح لدى السامع من جراء تأثير الخطاب الشعري على مستويين بشكل عام : الرسالة؛ و الأحوال المرافقة لها باعتبار السامع يستقبل تدريجيا وحدات لفظية إيقاعية في شكل مجموعة من العناصر الصوتية - الفيزيائية - التي تأتلف في وحدات عرفية وفقا للسنن السارية في الواقع اللغوي. يقوم السامع بعد ذلك بإحالة مجموعة الوحدات اللفظية المجموعة إلى الذهن، و من ثم تجسيدها في أشكالها التجريدية؛ بخازية سياقية كانت أو وضعية.

و لا غرو في أن الشاعر المنشد "حين ينشد شعره يستعيد تلك الحالة النفسية التي تمكنه في أثناء النظم حتى يشركه السامع في كل أحاسيسه و يشعره بشعوره"¹.
و من هنا يبدو الأثر النفسي للإيقاع في صورة مجموعة من الاستجابات المشتركة بين طرفي الخطاب مجسدة في أشكال مختلفة من التردد و التعجب و الشورة و الغضب و غير ذلك.

و تجدر الإشارة إلى أن الآثار النفسية للإيقاع تتجاذبها عناصر متعددة منها ما يتعلق بالأصوات و طرق تأليفها، و منها ما يرتبط بطريقة الإنشاد، و منها ما يرتبط بقضايا دلالية متعارف عليها من قبل الجماعة المستخدمة للغة.

¹ إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر ص 176.

المبحث الثاني: وظائف التنعيم.

يعتبر التنعيم من وسائل البيان و التبيين في أي لغة. و لما كان ظاهرة لغوية؛ تعددت وظائفه حسب الرؤيا التي ندرس بها اللغة فهو يؤدي: "في بعض اللغات كالعربية و الإنجليزية وظيفة نحوية، حيث يستعمل للتفريق بين المعاني المختلفة للجملة الواحدة. فعبارة مثل (السلام عليكم) تنطق بتنعيم معين فتدل على التحية، و بتنعيم ثان فتدل على التهكم و السخرية و بتنعيم ثالث فتفصح عن شعور بالغضب أو الرضا"¹.

فهذا المثال على بساطته، يمكننا أن نستنبط منه أن الكلام البشري معرض في أصله إلى مجموعة من التغيرات الصوتية. فالكلام قد يكون كلمة واحدة و قد يكون جملة: "حيث تكون النغمة هي العنصر الوحيد الذي نشأت عنه المعاني المتباينة"².

و لسنا في مجال تعداد الأمثلة الدالة على ما نقول، لأن الدراسة لا تتسع لهذا. فهل كانت وظيفة التنعيم عند القدامى هي إعطاء الصبغة النغمية للكلام؟ و كيف أدرك المحدثون وظيفة التنعيم؟ و ما هي الأبعاد التي ضمنوه إياها؟ و هل هناك أبواب محددة في النحو العربي يجب إعادة دراستها على أساس القوانين الصوتية الحديثة؟ و في حالة الوصول إلى رؤى جديدة في هذا المجال، ما هي المواضيع التي يخوضها به؟ أو أن النصوص كلها معرضة لإعادة قراءة على ضوء نظريات لسانية حديثة؟

يدرك الدارس لأول وهلة أن كثيرا من الظواهر اللغوية بات أمرها مرتبطا بالتنعيم، ارتباطا قويا. فقدامى اللغويين العرب، و إن غاب عنهم التنظير و تحليل الظاهرة لأسباب موضوعية، فإن ذلك لم يمنع وجود خطرات و إشارات ذكية تدلنا على أن رفض هذه الظاهرة من الدرس اللغوي كان أمرا غير وارد عندهم. بل اعتمدوه و فسروا به بعض قضاياهم خاصة تلك المتعلقة بتفسير و تأويل بعض نصوص القرآن الكريم و حتى في إعادة قراءة بعض الأعمال الأدبية الكبرى.

¹ علم اللغة العام - الد/عاطف مذكور، ص136.

² المرجع نفسه، ص104.

فقد أصبح التنعيم و تعبيرات الوجه من وسائل فهم الباب النحوي، و ما كان لنا أن نطرقه دون إستعانة به. يقول ابن جني: "و قد حذفت الصفة و دلت الحال عليها. و ذلك فيما حكاه صاحب الكتاب من قولهم: سير عليه ليل، و هم يريدون؛ ليل طويل. و كأن هذا إنما حذفت فيه الصفة لما دل من الحال على موضعها.

و ذلك أنك تحس في كلام القائل لذلك من التطويع و التطريح و التفخيم و التعظيمي ما يقوم مقام قوله: طويل أو نحو ذلك. و أنت تحس هذا من نفسك إذا تأملتته، و ذلك أنك تكون في مدح إنسان و الثناء عليه فتقول: كان و الله رجلاً. فتزيد في قوة اللفظ بـ (الله) هذه الكلمة و تتمكن في تمطيط اللام و إطالة الصوت بها و عليها؛ أي رجلاً فاضلاً أو شجاعاً أو كريماً أو نحو ذلك. و كذلك تقول: سألناه فوجدناه إنساناً! و تمكن الصوت بإنسان و تفخمه، أو نحو ذلك. و كذلك إذا ذمته و وصفته بالضيق قلب: سألناه و كان إنساناً. و تزوي وجهك و تقطبه. فيغني ذلك عن قولك: إنساناً لئيماً... فعلى هذا و ما يجري مجراه تحذف الصفة... فأما إذا عريت من الدلالة عليها من اللفظ أو من الحال فإن حذفها لا يجوز"¹. إن مثل هذا الحديث يحمل إلماعات و إشارات علمية دقيقة تبرز قمة تفكير القدامى في إرساء نسق قاعدي محكم. فابن جني متمتع بكامل وعيه حينما اعتبر دلالة الحال باعتبار المقام و المقال تغني عن قول الكثير. فما كان لنا أن نفهم المثال السابق (سير ليل) و (كان و الله رجلاً) الذي صار تطويع الكلام مع التطريح و التفخيم الوسائل التنعيمية و هي الأدلة على فهم الصفة المحذوفة.

و نكاد نحزم أن هذه الإشارة دليل للقائلين بعدمية الظاهرة في الدرس النحوي خاصة. فهل هناك برهان أكثر من قول ابن جني: "فأما إذا عريت من الدلالة عليها من اللفظ أو من الحال فإن حذفها لا يجوز".

و إذا كانت لابن جني إشارة بالغة الأهمية كهذه، فهذا لا يعدها عند غيره من أئمة النحو العرب من أمثال سيبويه الذي يقول في باب الندبة: "إعلم أن المسدوب مدعو ولكنه متفجع عليه، فإن شئت ألحقت في آخر الاسم الألف لأن الندبة كأنهم يترغمون فيها"².

¹ الخصائص - ابن جني، ج 2، ص 370-372.

² الكتاب - سيبويه، ج 1، ص 321.

فالتفجع إحساس بلوعة يصحبه طرديا أنين يضمّنه الإنسان معاني مختلفة. فالطفل في مراحله الأولى منذ ولادته، يصدر أصواتا مختلفة يريد بها معاني.

يقول ابن يعيش: "إعلم أن المندوب مدعو و لذلك ذكر مع فصول النداء لكنه على سبيل التفجع فأنت تدعوه و إن كنت تعلم أنه لا يستجيب. كما تدعو المستغاث به، و إن كان لا يسمع كأنك تعدّه حاضرا، و أكثر ما يقع في كلام النساء لضعف احتمالهن و أقله صبرهن. و لما كان مدعوا بحيث لا يسمع أتوا في أوله (ييا أو وا) لمد الصوت و لما كان يسلك في الندبة و النوح مذهب التطريب زادوا الألف آخر للترنم"¹. و يضيف في حرف الندبة قائلا: "و أما (وا) فمختص به الندبة. لأن الندبة تفجع و حزن و المراد رفع الصوت و مده لإسماع جميع الحاضرين"².

فاستخدام هذه الأدوات يقتضي رفع الصوت و مده لتنبيه المخاطب أو المنادى. و نحسبها تؤدي وظيفة. و هي قيامها مقام فعل تتضمن معناه، و حلت محله. و أساس القول بالنيابة و جوازها ينبني على فكرة العمل.

النعته و المنعوت

إن وضوح و جلاء ظاهرة التنغيم يتأكد في القصة التي تتواترها بعض كتب اللغة. إذ نجد فيها كيف وعى النحاة و فهموا التنغيم. يحكي السيوطي: "حدث المرزباني عن إبراهيم ابن اسماعيل الكاتب قال: سأل اليزيدي الكسائي بحضرة الرشيد فقال: انظر في هذا الشعر عيب؟ و أنشده ...

❖ لا يكون المهرُ مهرُ

فقال الكسائي قد أقوى الشاعر، فقال له اليزيدي أنظر فيه فقال: أقوى، لابد أن ينصب (المهر) الثاني على أنه خبر كان، ف ضرب اليزيدي بقلنسوته الأرض و قال: أنا أبو محمد! الشعر صواب إنما ابتداء فقال المهرُ مهرُ"³. فقد بادر الكسائي القول أن هناك إقواء

¹ شرح المفصل - ابن يعيش، ج2، ص13.

² المصدر نفسه، ص120.

³ الأشباه و النظائر - السيوطي، ج3، ص245.

واردا في رفع كلمة (مهر) والصواب نصبها باعتبارها خبرا لكان. ولما استخدم اليزيدي شيئا جديدا في تفسير البيت، تفتن إلى السكته أو الوقفة وهي من أنواع التنعيم فجعل جملة (لا يكون) لاصلة بينها وبين ما بعدها فهي تؤكد لما قبلها فضغط عليها حين النطق وأخذت مطا صوتيا لم يعهد لها في السياق. فالقائل ينشد : (لا يكون العير مهرا لا يكون) ويستأنف كلامه جديدا فيه مبتدأ وخبر وهما (المهر مهر). وكأن فطنتك أيها اليزيدي أنستك أدب حديث الملوك فرميت بقلنسوتك في حضرة هارون الرشيد أمير المؤمنين. عذره في هذا كبير فما رآه وما سمعه ليس بالشيء الهين.

و في نص السيوطي هذا جملة صغيرة لا يحدد معناها إلا النعمة المخصصة لها وهي قوله : أنظر في هذا الشعر عيب. فهذه جملة استفهامية لن يفهم المراد منها إلا بالتنعيم وإلا توهم القارئ إخبار في هذا المقام وهو أمر مستبعد لوجود القرينة اللفظية (التنعيم).
و لمعرفة منهجية لوظائف التنعيم نحاول أن نطرق بعض أبواب النحو على سبيل المثال لا الحصر.

يشترط النحاة في تعريفهم للنعت إذا جاء جملة، أن تكون خبرية تحتل التصديق والتكذيب. و لهذا لم يجزوا النعت بالإنشاء كما لم يجزوا وصل الاسم بغير الخبري. و حتى لو جاء في كلامهم ما يوهم الرصف بجملة إنشائية قدروا له قولا محذوفا حتى لا يخرج النعت عن وظيفة الإخبار و هذا ما نفهمه من قول ابن مالك :

❖ و إن أتت فالقول أضمر تضب

و شاهد النحاة في هذه المسألة، هو قول الشاعر :

❖ جاءوا بمذق هل رأيت الذئب قط

فجملة الاستفهام (هل رأيت الذئب قط) التي كان يظنها صفة ليست كذلك. لأنها إنشاء و الإنشاء غير الخبر. و تقدير الصفة (مقول فيه). إلا أن غرابة هذا التأويل و استبعاد هذا التخريج جعل رأي الدارسين يختلف حول تفسير هذا الشاهد.

يقول الأشموني : "فظاھرہ أن جملة الاستفهام ... هل رأيت الذئب، صفة لمذق. فوجب تأويلها على أن الصفة قول محذوف و جملة الاستفهام معمول الصفة أي : جاءوا بلبن

مخلوط بالماء مقول عند رؤيته : هل رأيت الذئب قط¹. فجملة (هل رأيت الذئب) ليست بنعت و إنما هي معمول للنعت المحذوف. فاعراب هذه الجملة مقولا للقول المحذوف. و يقول في حديث آخر : "الأصل بمذق لون الذئب يقولون مررت برجل مثل كذا: هل رأيت كذا و في الحديث كلاليب كشوك السعدان هل رأيتم شوك السعدان قالوا : نعم يا رسول الله، قال : فإنما هي مثل شوك السعدان. ثم حذف مثل لون الذئب و بقي هل رأيت الذئب. فتقولوه بمقول عند رؤيته². أما الذي يذهب إليه التخريج الثاني هو بقاء هذه الجملة دليلا من دلائل الصفة المحذوفة التي أولت بالقول المحذوف. و لو طابقنا تخريج الحديث الشريف بشاهدنا لصح أن نقول في الشاهد : إن الصفة المحذوفة لا تقدر بمقول فيه و إنما بقولنا (كلون الذئب هل رأيت الذئب).

و هذا التخريج نعتقد أنه أنسب لقول صاحب حاشية التصريح حينما تساءل : عما دل النحاة أن هذا وصف ؟ و يمكن أن يقول مستأنفا و كأن قائلا قال : ما صفته فقال : هل رأيت الذئب قط أي مثله و هو تخريج يقطع الصلة بين جملة (هل رأيت الذئب) و بين الصفة المحذوفة؛ حيث تكون الجملة مستأنفة و ليست معمولة للمحذوف.

و قد نقف حائرين في سبب قبول هذه الجملة نعتا ؟ لأنها استفهامية ؟ و هل ورود الجملة في صيغة استفهامية يحتمل الجواب ؟ و لما لا نسلم أن هذا سؤال يراد بنغمته شيء غير عباراته. فنحن نستخدم في حياتنا اليومية جملا شبيهة بهذا فنقول عن رجل طويلا : شفت النخلة. و نتحدث عن رجل بدين : شفت الفيل. و كأن المراد بما سبق : طويل كالنخلة. و هي في الأصل : شفت الرجل الطويل كالنخلة؛ و بدين كالفيل و هي كذلك في الأصل : شفت الرجل البدين كالفيل. و بهذا يكون الاستفهام في هذا الحال مقصود بالوصف و لا حاجة بنا معه إلى تقدير أو تأويل. و نظمئن كثيرا حينما نسمع قدامى العلماء يقولون : إن ما لا يحتاج إلى تقدير أولى مما يحتاج.

و في باب النعت جوز النحاة حذف النعت و المنعوت بشرط وجود ما يدل عليهما من سياق الكلام. و إن كان حذف النعت ناذرا كما صرح بذلك ابن مالك بقوله :

¹ حاشية الأشموني: منهج السالك إلى ألفية ابن مالك، فتح، محمد يحيى الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة: الثالثة - 1970 ص ()

² المصدر نفسه.

و ما من المنعوت و النعت عقل ❖ يجوز حذفه و في النعت يقل¹
و من الأمثلة التي يذكرها النحاة في هذا الباب قول الشاعر :
لو قلت ما في قومها لم تينم ❖ يفضلها في حسب و ميسم
أما التقدير في هذا الشاهد الأول : لو قلت ما في قومها أحد يفضلها. فلو قرأنا البيت
قراءة أولى لقلنا إننا أمام أسلوب شرط أداته (لو) أم جملته الشرطية فهي (قلت) و جوابه (لم
تينم).

و من نماذج حذف النعت قول الشاعر :
و رب أسيلة الخدين بكر ❖ مهففة لها فرع و جيد
يثبت لنا السياق في هذا الشاهد وجود صفتين محذوفتين كفانا الحال عن ذكرهما
و هما صفتي الكلمتين (فرع و جيد) و ذلك في مقام الجمال و الحسن. و على الرغم من
هذا النقص فإننا نحس تفخيما لكلمة (فرع) يوحي بصفة الشعر، و نحس كذلك تفخيما
لكلمة (جيد) و ما نطن كلام ابن جني في إطالة الصوت و تفخيم الحروف إلا تأكيد على
وظيفة هذه الأصوات و دليل على إدراك الصفة المحذوفة التي قدرها في نصه السابق بكلمة
(طويل).

أسلوب الشرط

تتكون جملة الشرط من ثلاثة أركان : الأداة و جملة الشرط، ثم جملة الجواب. و تلتزم
اللغة العربية في هذا الأسلوب ترتيبا دقيقا و صارما؛ حيث لا يقبل تقدما أو تأخيرا في أركانه.
و نكاد نحس أن التزاما كائن بين أداة الشرط و جملة الشرط دون سكتة بينهما. و هكذا
نقف في أسلوب الشرط على منحنيين مختلفين باختلاف نغمة كل جزء منهما. الأداة
و الشرط معاً، ثم الجواب. لأننا حينما ننطق الجملة : "من يتوكل على الله فهو حسبه"²
فمثل هذه الجملة تقسم من حيث وظيفتها إلى ثلاثة أركان - و هذا رأي النحاة جميعا - أما

¹ شرح ابن عفيف على ألفية ابن مالك. نج - الد هادي حسن حمودي. دار الكتاب العربي. ط: 1 - 1991، ج 2، ص 113.

² سورة الطلاق : الآية 03.

من حيث النطق فهي ركنان : الأول : من يتوكل على الله. أما الثاني : فهو حسبه. مع وجود سكتة أو وقفة بينهما. على أن تكون نغمة السكتة صاعدة على أمل ترقب كلام بعد هذا نغمته تنزل المنحنى من ارتفاعه إلى نقطة الثبات و ليس دونه. فطريق تنعيم الركن الأول من أسلوب الشرط هي التي تميزه عن أسلوب الاستفهام. فلو اعتمدنا على الكتابة لحسبناهما كتلة واحدة مثل :

من يتوكل على الله. (جواب الشرط لازم)

من يتوكل على الله. (جواب للسؤال غير لازم)

فجملة (من يتوكل على الله) الاستفهامية تحتمل سكتة واحدة في النهاية على غير ما نجده في الجملة نفسها الشرطية التي تحتمل سكتتين في موطنين مختلفين.

و لما كانت النغمة أساسا للفهم في أسلوب الشرط، فإن صورته تختلف فيما بينها نغميا. فالسكتة الموجودة بين الشرط و جوابه تختلف عن السكتة الموجودة قبل جواب الشرط المقترن بالفاء. إذ نجد المدة الزمنية التي تستغررها الأولى غير الثانية. و لنا أن نقارنها في جواب الشرط مقترنا بالفاء في المثال السابق و بين الجملة : (من يعمل ينجح) فعلى حين يطلب الإبطاء بالجواب في المثال الثاني فإن الإسراع ضروري في حالة الربط بالفاء فهي تحدث إسراعا عند النطق بالجواب. أما إذا كان الوضوح و الصفاء النغمي قرين جملة (ينجح) كلها؛ فإن هذا الوضوح و الصفاء يضيق ليصبح على الفاء و لصيقها المتمثل في كلمة (فهو).

و إذا كانت للتنعيم هذه الوظيفة في أسلوب الشرط و عناصره مرتبة ترتيبا طبعيا فما حالها لو اختل هذا الترتيب، كأن نتوهم تقدم الجواب على الشرط مثلا.

نكرمك إذا زرتنا.

يكاد يختلف النحاة حول قيمة الجواب و رتبته. و هذا ما ذكره ابن الأنباري في إنصافه بين الكوفيين و البصريين إذ يقول : "و إن تقدم على أداة الشرط شبيهه بالجواب فهو دليل عليه و ليس إياه، هذا مذهب جمهور البصريين. و ذهب المبرد و أبو زيد أنه الجواب نفسه و الصحيح. الأول"¹.

¹ الإنصاف في مسائل الخلاف - ابن الأنباري، ج 2 ص 624.

أي أن جملة (نكرمك) ليست جواباً لأداة الشرط (إن) لتقدمها حيث لا سماح لأن يتقدم الجواب. أما الجملة هذه فهي دليل على حذف جواب الشرط وهي جواب الشرط عند فريقاً آخر.

و ليس في موفق تغليب رأي على آخر. إلا أننا أميل إلى الاتجاه الثاني، لأنه من غير المعقول أن نجتهد في تقدير جواب محذوف و بين أيدينا جواب يغنينا عن التأويل. خاصة إذا علمنا أن قيمة الشرط لا تكمن في معناه إنما في الطبيعة التأثيرية التنعيمية الواردة فيه. إنني حين أقول : (إن لاقيتم العدو فالجنة للشهداء) فنغمة جواب الشرط نفتقدها فيما لو قلنا : (الجنة للشهداء إن لاقيتم العدو) لعل هذا ما جعل البصريين يعتقدوا أن المتقدم ليس جواباً لأنهم ما تعودوا أن تكون أن تكون نغمة الجواب بهذا الشكل في حال تقديم أداة الشرط.

و لما كان الجواب نهاية لغاية الجملة، و تمام فائدتها. فالتكلم يحقق ضغطاً يريح به بال المستمع. و الذي نعتقده أن هذا التقديم مقبول مادام حقق الغرض؛ و هو الشرط. ثم ليس هذا إلا من باب جمالية الأسلوب.

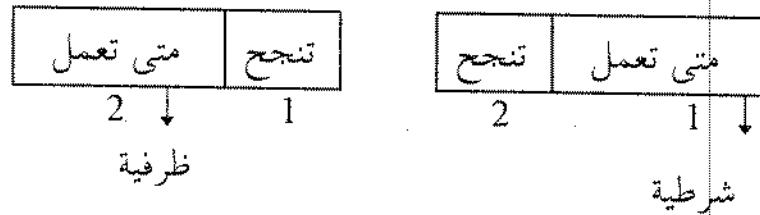
و لنا في هذه الحالة أن نيمز الفارق النغمي بين تصور التقدم و تصور التأخر. هذا الفارق الذي يجعل التسوية بين الجوابين أمراً غير مقبول. و دليلنا في ذلك حين نقول : (إن لاقيتم العدو)، فالمستمع ينتظر الجواب. و لا يرضى بأي شيء آخر غيره. فيأتي متلاحقاً في قولنا : (للشهداء الجنة) فإن المستمع أو النفس لا تطلب شرطاً. فزيادة عن كون هذه الجملة تامة، قد تثير تساؤلاً مفاده : ألا تحمل هذه الجملة نغماً مميزاً لها تشد به المستمع إلى أن هذه الجملة حلقة في أسلوب الشرط.

و في موضوع الرتبة ارتأينا أن نستبدل بعض أدوات الشرط لنرى إذا كانت هذه القوانين خاصة بأدوات دون أخرى. فصدارة ثابتة فيها و ذلك مثل (من، ما، متى، أينما).

من	يعمل ينجح
ما	يعمل ينجح
متى	يعمل ينجح
أينما	يعمل ينجح

فهذه الأدوات وإن قبلت الوظيفة النحوية فهي لا تقبلها دلاليا. لأن لكل أداة عناصر محددة لها لا تزيج عنها و ما يتحقق لأحدها لا يتحقق حتما للأدوات الأخرى. فإذا جاز لنا أن نقدم جوابا (إن) في المثال السابق فإنه غير مسموح لنا في المثال الحاضر. فلا يقال : ينجح من يعمل. و نظن أن الشرط قائم. لأن هذا التقديم يعلق مهام أدوات الشرط حينئذ إلى حرف موصول للعاقل، و يعرب فاعلا و يُذهب بإحساس الشرط و نكهته تماما.

و في قولنا : متى تعمل تنجح ، فلا يقبل الأسلوب في هذه الحالة كذلك تقدم الجواب أو دليله لأننا لو قلنا : تنجح متى تعمل. لكان المعنى : تنجح حين إجتهاذك. و تكون الوظيفة التي تؤديها (متى) وظيفة ظرفية حسب. و ليس الشرط لذلك لم يكن تصور التقديم وارد في النماذج السابقة.



و ليس معنى هذا أن كل أدوات الشرط لا يقدم جوابها. بل هناك مجموعة من الأدوات من اليسير أن يقدم جوابها أو دليها و يظل أسلوب الشرط محافظا على كينونته. و مثال ذلك، الأدوات غير الجازمة. (مهما، حيثما، إذا، لو).

مهما	كتمت السر سيعرف يوما
إذا	كتمت السر سيعرف يوما
لو	كتمت السر سيعرف يوما
حيثما	كتمت السر سيعرف يوما

فجلّ هذه الأدوات ترضى تقدم جوابها عنها دون إحلال في التركيب أو في المعنى مع وجود فارق نغمي بين الحالة و الأخرى حتى لو استبدلنا الأداة مثلا في الإستعمال.

سيعرف السر يوما	مهما	كتمته
سيعرف السر يوما	حيثما	كتمته
سيعرف السر يوما	لو	كتمته
سيعرف السر يوما	إذا	كتمته

و إذا كان التنعيم علامة في تحديد مكان وجوب وجواز وجود الجواب فإن بإمكانه،

أن يحل محل الشرط و يكون دليلا و شاهدا على وجوده فحين يقول الشاعر :

فطلقها فلست لها بكفاء ❖ و إلا يعل مرفقك الحسام

فهذا الأسلوب يقدر له النحاة جملة شرط محذوفة تقديرها :

فطلقها فلست لها بكفاء ❖ و إن لم تطلقها يعل مرفقك الحسام

فإن كان سياق الكلام افترض المعنى، فإن تنعيم كلمة (إلا) و الضغط عليها و سكتة

بعدها أكده و يعتبر كافيا للقيام بوظيفة المحذوف.

فنعتبر أن الضغط على (إلا) و إعطاءها تلويها نغميا مميزا كافيا كفاية أداة الشرط

و جملتها. فالملحوظ أن تنعيم الأداة (إلا) الشرطية أمره جد مختلف على تنعيمها في حالة

كونها دليل الاستثناء.

و أكثر من هذا، إن الضغط على الأداة و التنعيم المميز للجملة كافيان لتحديد أسلوب

الشرط في سياق مقالي لم تبق فيه إلا الأداة. و من هذا قول الشاعر :

قالت بنات العم يا سلمى و إن ❖ كان فقيرا معدما. قالت : و إن

فتنعيم الأداة (إن) يقوم مقام كلام طويل أساسه (و إن كان فقيرا معدما فسوف

أتزوجه). فهذا التركيب، من حقه الورود بعد (إن). و هذا ما لا نستشعره إذا وقفنا عليها

و هي خالية من هذا التنعيم.

و قد يكون التنعيم كذلك أساسا يحكم طول جملة الشرط مع بعض أدواته. فنجد في

العربية بعض أدوات الشرط غير جازمة. و ندرك لا محالة أنه غالباً، ما تكون الفسحة النطقية

بين الأداة و جوابها كبيرة. و هذا ما نلمسه في استخدامات أول هذه الأدوات (لو) من هذا

قول الشاعر :

و لو تلتقي أصدائنا بعد موتنا ❖ و من رمسينا من الأرض بسبب

لظل صدى صوتي وإن كنت رمة ❖ لصوت هوى ليل يهش و يطرب

و يقول آخر :

و لو أن ما أسعى لأدنى معيشة ❖ كفاني و لم أطلب قليل من المال

إن محاولة استبدال أدوات الشرط فيما بينها يوضح لنا أن ما يحدث للأداة (لو) حادث للأداة (لما) و من هذا قول الشاعر :

و لما أبى إلا جماحا فواده ❖ و لم يسئل عن ليلي بمال و لا أهل

تسلى بأخر غيرها فإذا التي ❖ تسلى بها تغرى بليلي و لا تسلى

فالفسحة جلية في هذين البيتين و قد لا نعجب إذا تعدى الجواب إلى بيت آخر اللهم أن نعمة الشرط بقيت قائمة.

أما الأداة (لولا) فلا تحقق هذه الغاية. فيجب أن يكون جوابها قريباً منها حتى أن الخبر قد يستغنى عنه. و حتى في حالة ورود الجواب فلا نقف على الفسحة النطقية؛ مثل :

لولا الأمل فسيح كنت متألماً.

لولا الأمل لكنت متألماً.

و هكذا و بعد هذا التحليل، يمكننا أن نعتبر التنعيم وسيلة ضرورية لفن أسلوب الشرط. حيث يمكننا من إحداث فارق بينه و بين أساليب أخرى، كالإستفهام و التمني. و حدد كذلك ترتيب عناصر الجملة في هذا الأسلوب. و كان أثراً و دليلاً على محذوف. حتى وصل إلى درجة كونه دليل أسلوب كامل لم تبق إلا أدواته. و استطعنا به أن نميز بين وظائف الأدوات داخل الأسلوب.

أسلوب التوكيد

أسلوب التوكيد كما هو معلوم، يتكون من أدوات تدل عليه. و هي أنواع، منها ما هو منفصل، و منها ما هو متصل ببعض الكلمات. و يختلف نبرها و ضغطها من سياق إلى آخر. على أن نميزها في التوكيد اللفظي و المعنوي.

¹ ينظر : من وظائف الصوت اللغوي - أحمد كشك، ص 69.

يتفق جمهور النحاة أن للتوكيد المعنوي ألفاظاً خاصة به، هي : النفس و العين و العموم بكل و جميع و عامة و قاطبة و كافة و كلا و كلتا. و يأتي التوكيد بالنفس لدفع توهم قد يضاف إلى المؤكد. فلو سمع الواحد منا عبارة : جاء المدير. لتوهم السامع أن الحاضر ربما نائبه أو مندوبه. فقلنا : (المدير) من باب تعظيم أو تهويل الأمر. و لا نبرح هذه الكلمة حتى نردفها بـ (نفسه) أو (عينه). فإن احتمال الغير منفي في هذه الحالة و لا إلزامية موجودة في زيادة التوكيد. فالذي يستدعي ذلك هو الموقف و السياق الذي نتحدث فيه. فكم من تعبيرات و جمل لم ندعمها بأحد أنواع التوكيد، و كانت بليغة مفيدة.

و من أعراض التوكيد كذلك، هو دفع إراد عدم الشمول، فيكون في هذه الحالة التوكيد بكل و جميع. فإذا قال : حفظت الدرس. قلعل المستمع قد يفهم أن كلية الفعل لم تتحقق، إذ يفهم أن المحفوظ جزء من الدرس أو المحاضرة، و حتى يذهب هذا التوهم فإنه يستأنف جملة بعد ذلك بـ (كله) و هنا تأتي كلمة (كله) دافعة لهذا التوهم و هذا الظن.

و لا نحسب أن اللغة العربية قاصرة التفهيم و عاجزة الإبلاغ إلى درجة إيجاد وسائل تعين المتكلم. فما هذه الأساليب إلا ضرب من البلاغة التي عمد بها اللغويون قبل النحاة خصوصاً. بدءاً من الخليل بن أحمد الفراهيدي.

إن محاولة استنباط الأدلة تثبت لنا أن كلمة (نفسه) أو (عينه) مرادفة لكلمة (المدير) و هذا من حيث الوظيفة النحوية لا غير. و قد يكون في هذه الحالة التوكيد بالمرادف. و كأن قولنا : جاء المدير نفسه، مساو لقولنا : جاء المدير المدير. و لما كان الغرض واحد و الهدف هو دفع احتمال أنه يكون الآتي غير المدير، فلا فرق إذا بين دلالتى التوكيد المعنوي و اللفظي.

جاء المدير	المدير
جاء المدير	نفسه

و لم يقبل النحاة استعمال :

جاء نفس المدير.

مستبدلينا عناصر التركيب الفعلي فيما بينها و عدّوه

[جاء] [المدير] [نفسه]

1	2	3
[جاء]	[نفس]	[المدير]
1	3	2

و هنا تأتي السكتة مفرقة بين التركيبين. ففي التركيب الأول تحكمه سكتة خفيفة بعد جملة (جاء) على أن التركيب الثاني يمكن أن يتحمل سكتتين : الأولى و هي قصيرة المدة الزمنية و تأتي بعد (جاء) و الثانية طويلة نسبيا إذا قارناها بسابقتها و موضعها بعد كلمة (المدير). و هذه السكتة الثانية هي ما جعلت المتكلم ينببر على كلمة (نفسه).

أما التوكيد اللفظ عند النحاة هو تكرار اللفظ الأول بذاته، أو بمرادفه. مع تغيير في نغمة كل واحد باعتباره أساسا للفهم. فالجملة تؤكد كما هي بعطف أو بغيره ومنه قوله عز و جل : "لَا سِيعْلَمُونَ ثُمَّ لَا سِيعْلَمُونَ"¹. كما يؤكد الاسم الظاهر و الفعل و الضمير المنفصل. كل هذه الكلمات تؤكد بتكرارها كما هي. أما الحرف إذا كان جوابيا فإنه يؤكد بتكراره. فإذا كان غير جوابي أكد لفظيا بأن يعاد معه ما اتصل به فتوكيد الحرف (نعم). فنقول : نعم نعم. و في تكرار حرف الجر الباء أو اللام، نقول : (بك) (بك) أو (له) (له).

و لعل السبب الذي جعل (نعم) تستقل في توكيدها أنه حق له إستقلالية، ليس من عدم اتصاله بكلمة أخرى أو تعلقه بها. إنما له القدرة في كثير من الأحيان أن ينوب عن الجملة كاملة. بشرط وجود قرينة سياقية تتمثل في التنغيم. الذي يغني عن بقية أجزاء الجملة فحينما يسأل أحدهنا عن أمر ما فيكون رده وفقا لما سئل عنه و بدقة فنحن نجيب ب : (نعم). لمن سألنا : هل نجحت ؟ و نجيب ب (بلى) عمن سألناه ألم تنجح ؟

فهذه الحروف و إن تميزت بالقصر، فهي تغني عن كلام طويل في السياق. و بالتالي، فهي تراكيب لها صبغة تنغيمية معينة أهلتها درجة تعويض التراكيب المألوفة عند الناس. و المركبة من مركب فعلي أو مركب اسمي.

هل رأيت عمر ؟ [رأيت عمر]

هل رأيت عمر ؟ [مع نغمة مميزة]

¹ سورة النبأ : الآية 03.

و قد يستغني الواحد منا حتى كلمة (نعم) مستعملا نغمتها فقط. و تؤدي وظيفتها كاملة و يكون على الشكل التالي :

هل رأيت عمر ؟ [مع نغمة مميزة]

و نعتبرها كلاما مفيدا يدل على معنى، و صالح للتواصل. لكن لا ينم هذا إلا بتوفر إطار و سياق معين.

أما بقية الحروف فهي ضمائم. لا يمكن إستقلالها. و منها حروف الجر و العطف. فيجب توكيدها مع ما اتصل بها، و لا يمكننا أن تصور توكيدا لأحد حروف الجر دون مجروره. و هذا ما نعتقده مع حروف أخرى كالإستفهامية و الموصولة. و قد ذكر النحاة عدة شواهد جاء فيها التوكيد على الحرف الجوابي (لا) منها قول الشاعر :

لا لا أبوح بحب بثنة إنها ❖ أخذت عليّ موثقا و عهدا

فذهب النحاة إلى أن الحرف (لا) أكد بتكراره. و هو تفسير يعتمد المنهج الوصفي. و لا نحسب أن (لا) الأولى مرادفة للثانية من حيث الوظيفة. فالأولى حرف جواب. أما الثانية فهي أداة النفي. و لو كانت الثانية جوابية لما استقام معنى البيت الشعري. و لكان المعنى المستبطن مخالفا لما أراده الشاعر. و هذا ما نفهمه حينما أجاب عن سؤال أساسه : هل تروح بحب بثنة ؟ فردّ عليهم أولا : لا. ثم سكت قليلا و استأنف كلامه من جديد : لا أبوح بحب بثنة إنها أخذت عليّ موثقا و عهدا :

لا [سكتة]. لا أبوح بحب بثنة.

فالسكتة هنا -و هي من عناصر التنغيم- أساس في فهم القول. فلو كانت وظيفة (لا) الأولى و الثانية مؤكدة وجدنا وقفة بعد : (لا لا). و تكون الجملة المستأنفة مثبتة و هو عكس ما أراده الشاعر.

(لا لا) [جملة].

(لا لا) [ت ف + ت + ت + ت + ت].

فلو اصطنع النحاة لأنفسهم علامات للترقيم، لوجد القارئ نقطة للوقوف بعد (لا) الأولى. و لأدركوا أن (لا) هذه بنفسها تكون جملة مفيدة يستحسن في تنغيمها أن نقف

عليها لتمام الفائدة. و: "لما تورطوا في اعتبارها حرف نفى مؤكداً توكيداً لفظياً بحرف على مثل صورته"¹. فالإختلاف بين أن تكون (لا) حرف نفى مؤكداً أو جملة كاملة الإفادة بحسن السكوت عليها. و قد يحمل بيت ابن أبي ربيعة مع تغيير في النغمة دلالات جديدة، كأن يفهم منه معنى التقرير للتأنيب أو التعبير أو الإلتجاء إلى الإعتراف.

و قد اعترف الدكتور تمام حسان و كمال بشر -على غرار اللغويين المحدثين- بخطأ النحاة القدماء في فهمهم لبعض القضايا اللغوية.

و الحق أن استغلال هذه الظواهر الصوتية و أمثالها ذو أهمية بالغة في تحليل المادة النحوية، و في بيان قيم التراكيب و دلالاتها. و "قد يكون من المفيد أن نعمد مثلاً إلى باب (الفصل و الوصل) في قواعد العربية و ندرسه من جديد على أسس صوتية. فلربما يمكننا هذا الإتجاه من الوصول إلى قواعد أكثر دقة و موضوعية مما نألفه في كتب البلاغة التقليدية"². و الأمثلة التي يذكرها اللغويون كثيرة في هذا الباب أهمها : (لا و أيدك الله) و (لا و شفاك الله). فالدعاء في المثال هو له لا عليه. فالسكنة التي تصحب المتكلم هي التي تحدد مقصود الدعاء ما إذا كان له أو عليه. فيمكننا بهذه السكنة الإستغناء عن هذه الواو، و ذلك بأن نتبع أداة النفي، بسكنة. فتكون جملة بذاتها. ثم نعقبها بجملة أخرى دون الواو و يمكن الإستفادة من وضع نقطة بعد أداة النفي على الشكل التالي : (لا. شفاك الله) و (لا. أيدك الله).

و هكذا، يظهر أن التنغيم أدى وظيفة الترقيم في الكتابة. هذه الوظيفة التي غفل عنها القدماء إتكالاً على التعليق بالنغمة، إذ كان من الممكن فهم النصوص على ما فيها من تنغيم و سكنة. و لما لا يعاد قراءة بعض القضايا النحوية على ضوء الدراسات الصوتية الحديثة. معلوم في النحو العربي أن الحرف غير الجواب لا يعاد ما لم يتصل معه قرينه في السياق. و قد شدّد عند بعض النحاة قول الشاعر :

إن إن الكريم يحلم ما لم ❖ يرين من إيجاره قد أضيما

فالأصل عند النحاة أن تأتي هذه الجملة على النحو : إن الكريم إن الكريم. لأن، إن حرف غير جوابي. فإذا طلبنا توكيده أعدنا معه ما اتصل به. و في تصورهم هذا، أن هناك

¹ اللغة العربية -الد/تمام حسان، ص228.

² علم اللغة العام، الأصوات -الد/كمال محمد بشر: ص192.

وصلا نطقيا بين الحرفين و كأنهما مترادفان. و ما نحسبه أن الحرفين ليس من قبيل التردف. فالحرف الأول حرف جوابي، بمعنى : (نعم)، و الثاني حرف توكيد، و كأن الشاعر يقول : نعم، إن الكريم يحلم ما لم يرين من إيجاره قد أضيما. و يزول اللبس و الغموض في حالة استبدال العنصر (إن) بـ : (نعم). و ربما كانت النغمة الحاصلة من السكتة جاعلة من الحرف (إن) الأولى شيئا غير التوكيد.

و لعل هذه بعض الشواهد التي ما كان لها أن توضع أصلا في باب التوكيد. فكل شاهد تخريج ما. و لو حاولنا، أن نقف عند كل الشواهد التي ذكرها النحاة في باب التوكيد، لصرفنا موضوع دراستنا. و كان الأولى أن يجعل الدليل التنغمي (Code Intonatif) هاديا و سبيلا لفهم التوكيد و غير بعيد عن هؤلاء النحاة يقول الشيخ يس : " الحرف إن كان جوابيا أو مفصولا بسكتة أو بإعراضية أو بعاطف فلا شرط"¹.

البديل

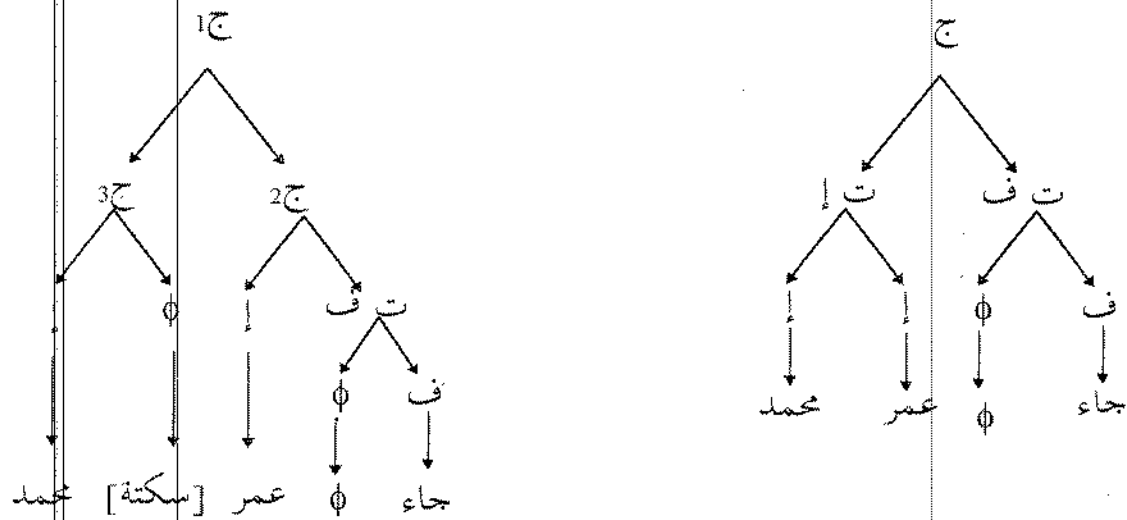
اشتهر عند النحاة تقسيمهم البديل أربعة أنواع : بدل كل من الكل، أو بدل بعض من الكل، أو بدل اشتغال، أو مباين. و نرى أن القسم الرابع أوفرهم في الدراسة من العنصر التنغمي.

و مرجع التقسيم عندهم هو اتجاه القصد أو نية المتكلم في المبدل منه السابق. فإذا لم يكن مقصودا البتة، و إنما زل اللسان بنطقه، ثم جاء البديل معدلا له، فهو بدل الغلط. وله نغمة معينة. و كأن المتحدث يستدرك ما قبل بها رافعا صوته ما وجود وقفة نسبية بينهما، نحو : جاء عمر [سكتة] محمد.

فالجملة الأولى (جاء عمر) تنطق بنغمة ثابتة، لأننا نعتقد أننا نبلغ بها خبرا عاديا. و سرعان ما نستدرك غلطنا بكلمة (محمد). و لا نحسبها كذلك. فهي جملة حذف منها المركب الفعلي. و ليس مجرد بدل. و سبب عدم محيئ المركب الفعلي هو أن الخطأ لم يقع

¹ مخرج التصريح على التوضيح، حاشية الشيخ يس، ج2، ص130.

عليه، و لو كان كذلك، لكان حضوره ضرورياً، فالتكلم لم يغلط في الحدث أو الفعلي، إنما في من قام بالفعل. و عليه فشكل الجملة يتغير بتغيير هذا الرأي من شكل (1) إلى شكل (2):



و السكتة الحاصلة بين الجملتين هي سكتة التذكر بالدرجة الأولى، و دليل لوجود عنصر لغوي محذوف. أما إذا كان المبدل منه مقصودا و لكن بعد ذكر البديل تبين ذكره فهو بديل نسيان.

و إن لم يفرق النحاة كثيرا في هذا الباب، لتقارب المعاني فيما بينها، فيعتبر التنعيم أساسا للتمييز بين هذه الأنواع. فالسكتة تختلف من نوع لآخر. أما إذا كان المبدل منه مقصودا و البديل مقصودا على أساس انفراد كل منهما بالقصد، فهو بديل إضراب.

و كان للنحاة أن يرفض هذا القسم النحوي يقينا منهم أن اللغة لا تتعامل مع السهو أو النسيان. و ما كان للغة أن تضبط قواعدها بالسهو و النسيان و الغلط. و كيف يتسنى لنا قبول هذا لرفض اللبس الموجود بين هذه الأقسام، و الأمر متروك للمتكلم وحده و هو الطرف الرئيسي في الدلالة اللغوية. فالتنعيم وسيلة تجعل هذه الأقسام أمرا واردا. إذ بها يتميز كل قسم عن أخيه. فلكل تابع صلة بمتبوعه من الناحية النطقية، خاصة إذا اعتبرنا الانفصال و الإفتراق أساسا لفهم العلاقة بين البديل و المبدل منه، من حيث إحداث التباين بينهما و هذا لا يتم إلا بوجود سكتة كبيرة بينهما.

* إذا تبين الأمر لم يكن حاصلًا قبل هذه اللحظة.

إن المتكلم الذي يبدأ حديثه بـ : (خذ مدي) ثم يستدرك هذا بقوله : (خذ نبلا) لا ريب أنه أخذته الدهشة لما قاله، و من أجل ذلك فهو مسرع لتصحيح جملة. و هي جملة مشحونة بأنفعال و دهشة أخرجتها من نطاقها الإخباري المعهود.

و قد ذهب النحاة إلى أبعد من هذا حينما ذكر صاحب شرح التصريح : "و قد تبدل الجملة من المفرد بدل كل كقوله و هو الفرزدق و هو :

إلى الله أشكو بالمدينة حاجة ❖ و بالشام الأخرى كيف يلتقيان

فقد أبدل الشاعر جملة (كيف يلتقيان) من (حاجة و أخرى) و هما مفردان¹. قاله ابن جني و إنما صح ذلك لرجوع الجملة إلى التقدير بمفرد، أي : إلى الله أشكو هاتين الحاتيتين. لتعذر التقائهما. ثم يعرض رأيا متمعنا : الدماميمي. يعتمد فيه على التنعيم حيث يرى : " أن جملة؛ كيف يلتقيان. مستأنف. و هذا تصور لا دليل عليه إلا وجود سكتة بين ما تصور كون مبدلا منه و ما تصور كونه مبدلا².

أقول له إرحل لا تقم عندنا.

فجملة (إرحل) مرادفة لجملة (لا تقم عندنا). مع وجود فروق لغوية دقيقة تنفي التطابق بينهما. لأن طلب الرحيل يختلف عن طلب عدم إقامته. و قد نستأنف هذه الجمل بأخرى مثل : غب عن أعيننا، و اتركنا... إلخ

فكل هذه الجمل تعبر عن شيء واحد هو رفض التلاقي مع من نقصده بالكلام.

كل هذا مدرك مع تصور إضافات لا توحى بالتطابق؛ ففي قولنا : (إرحل) أمر بالذهاب، أما قولنا : (لا تقم عندنا) فنحن نرفض الإقامة عندنا مع تضايق. و قولنا : (غب عن أعيننا) رفض للتلاقي و كره لرؤية الآخر. أما (أتركنا) فهي أمر بالذهاب يصحبه حزر و اشمئزاز، و كلها أمور انفعالية لا تُحدد إلا بالتنعيم.

¹ شرح التصريح على التوضيح؛ حاشية الشيخ يس، ج2، ص162.

² من وظائف الصوت اللغوي - الد/أحمد كشك، ص184.

أسلوب النداء

تخضع أساليب النداء في أغلبها إلى العنصر التنعيمي. إذ يعتبر وجود التنعيم، أساسا في فهم معاني أدوات النداء. من حيث القرب، و البعد. خاصة إذا علمنا أن: "الغرض بالنداء التصويت بالمنادى ليقبل و الغرض من حروف النداء امتداد الصوت و تنبيه المدعو. فإذا كان المنادى متراجعا عن المنادي أو معرضا عنه لا يقبل إلا بعد اجتهد أو نائما قد استثقل في نومه يستعمل جميع حروف النداء، ما خلا الهمزة و هي : يا و أيا و هيا و أي و يمتد بها الصوت و يرتفع"¹.

فالنداء مهما كان قريبا أو بعيدا لابد أن يكون متصلا بالتصويت أو التنبيه. و لا يتحقق ذلك، إلا بحدوث ضغط على حروف النداء و المنادى. و هذا حتى يحدث الإسماع المطلوب.

أما تقسيمنا الحروف إلى قريب أو بعيد ما هو إلا مراعاة للصوت و إطالته أو تقصيره. و قد يجرنا الحديث إلى تصور النداء حين تكون الأداة محذوفة. و ليس هذا الأمر غريبا في كلام العرب، فقد كثر مجيء المنادى خلوا من أداة النداء. افترض لها النحاة أداة نداء كانت تقوم بالنداء قبل حذفها. و كأنه لا سبيل لتحقيق النداء إلا بوجود حرف النداء ظاهرا أو مقدرا. و من ذلك ما جاء في قوله تعالى: "يوسفه المرص من هذا"². فمجيء المنادى في الآية الكريمة دون الأداة لم يعدم أو يلغ وظيفتها و دليل ذلك هو ورود لفظ (يوسف) بلون نغمي مميز لها وهو غير اللون النغمي الذي يكون في حالة وجود الأداة. على أن نجد سكتة بين المنادى والجملة المستأنفة له. وكذلك قوله جلّ من قائل: "ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم"³.

فقد نقف على أثر حذف أداة النداء (ها) قبل الضمير المنفصل (أنتم).

¹ شرح المفصل - ابن يعيش، ج2، ص15.

² سورة يوسف : الآية 29.

³ سورة البقرة : الآية 85.

و قول عمر بن أبي ربيعة¹ :

خليلي فما عشتما هل رأيتما ❖ قتيلا بكى من حب قاتله قبلي

و قوله² أيضا :

خليلي ما بال المطايا كأنما ❖ نراها على الأدبار بالقوم تتكص

إن النحاة إجتهدوا فبرروا حذف الأداة لفهما من السياق. و التقدير عندهم : (يا يوسف) - (يا هؤلاء) - (يا خليلي). فعند قولنا أو ندائنا لأحدهم بلفظ : (محمد) فقط. فقد نضفي عليها نغمة صاعدة، هذه النغمة تؤدي وظيفة الأداة في حال وجودها. لأن لفظا مستقلا في السياق عرضة لتأويلات و ظنون كثيرة. فقد يحمل على الابتداء أو الإخبار. أما المتكلم فهو الذي يبعث فيه المعنى المراد بنغمة التنادي. فلو مثلنا الجملة هذه في المنحنى تكون على الشكل التالي :

الأداة	المنادى	إتجاه المنحنى
يا	محمد	↙
أ	محمد	↙
هيا	محمد	↙
φ	محمد	↙

و ما نراه أن النداء ليس بقاصر على الأداة وحدها، بل عليها و على المنادى الذي تكون عليه نغمة التنادي و صفات صوتية لا نجدها في موطن آخر.

المنادى	شكل المنحنى	الوظيفة
محمد	↙	التنادي
محمد	→	الإخبار
محمد	↗	الاستفهام

فكلمة (محمد) لها قوالب صوتية عديدة، فعند استعمالنا لها نطبعها بلون نغمي معين. فحين نتجه بالنداء إلى إنسان اسمه (محمد) و هو بعيد عنا فإننا نصدر صوتنا على هذا

¹ الأغاني - أبو الفرج الأصفهاني، ج1، ص117.

² المصدر السابق، ج1، ص113.

الأساس. فإما أن نخلع على الأداة صفة الطول حتى يستجيب المدعو وإلا فإن الكلمة يأخذ من التطويل و المطل ما يقوم مقام الأداة (ﻓ محمد) و تكون النغمة وحدها قرينة و علامة على النداء. و بالتالي فيأخذ المنادى لونا نغميا مخالفا عن لونه حين يكون مصاحبا للأداة.

و قد عهد النسخ الأدبي حذف الأداة، و هذا ما يعطي للنص موسيقى حلية الأمر إلى حد نسيان أو تناسي وجود أداة للنداء أصلا.

و قد اعتاد النحاة أن الأداة المحذوفة هي (يا) و قد نتساءل : إذا كان حذف الأداة يلهم بحذف (يا) دون غيرها أمر ثابت و طردي ؟ و لما لا يكون الإلهام لكل أداة تقوم بوظيفة التعبير عن الدعاء و النداء ؟!

فقد تصبح الأداة و المنادى موصولة به كأنهما معا كتلة نطقية واحدة. و لا توجد سكتة بينهما. أما إذا وردت وحدها فإن مطالاً و طولاً يحدث لها تعقبه سكتة تنبئ عن مكان المنادى المحذوف، و تبقى بصمة لوجوده. فحين يقول الشاعر :

ألا يا أسلمي يا دارمي على البلا ❖ و لازالت منهلا بجر عاتك القطر
فالقارئ لهذا البيت و لا شك أنه يمد حرف النداء ثم يعقب هذا بسكتة. ليأتي فعل الأمر بعدها : ألا يا [سكتة] أسلمي. و هنا يكون التنغيم الحاصل دالاً على ذلك المحذوف. فوجود السكتة دليل على الحذف. و لعل بيت السماخ يؤكد هذا حين يقول :

ألا يا أسقيان قبل غارة سنحال ❖ و قبل منأيا قد حضرت و آجال
فإن النحاة يقدرون هنا منادى محذوفاً أساسه : (ألا يا هذان أسقيان). و ما كان تصور المنادى المحذوف آتياً إلا لو تصورنا عنصراً صوتياً معيناً أساسه مطلق حرف النداء ثم الوقف عليه بوجود سكتة بينه و بين فعل الأمر بعده. و بهذا يكون عدم اتصال الأداة بما بعدها منبئاً عن نقص موجود¹.

* ألا يا [سكتة] اسقياني.

* ألا يا [هذان] اسقياني.

* ألا يا [الرجلان] اسقياني.

¹ من وظائف الصوت اللغوي - أحمد كشك، ص 105.

* ألا يا [الولدان] اسقياني.

* ألا يا [القمران] اسقياني.

و إذا جوزنا وجود (هذان) عوض السكتة و هي اسم مذكر مثنى، فلا يجوز كل اسم توفرت فيه هذه الشروط كما هو موضح في المثال الأخير. فالسقي لا يقوم به كل مذكر، و حتى إذا جوزنا الجملة هذه نحويًا فلا يجوزها دلاليًا، لأنه ما كان للقمر أن يسقي العباد، و لا نسوّغ ذلك في التعبير المجازي.

ولعل حذف المنادى أوحى لبعض النحاة قربا بين أداة النداء وبين أسماء الأفعال، إذ ذهب أبو علي: "إلى أن حرف النداء (يا) ليس بحرف و إنما هو اسم من أسماء الأفعال"¹.

و هكذا نقف على إحدى الوظائف البارزة للتنغيم. و هي: الوظيفة الندائية (Conative) تظهر هذه الوظيفة في المراسلات التي تتوجه إلى الملتقط لإثارة انتباهه أو للطلب إليه القيام بعمل معين. و تدخل الجملة الأمرية ضمن هذه الوظيفة الندائية².

و ما يميز كلام ميشال زكرياء أن الجملة الأمرية يعينها أمر التنغيم. خاصة إذا علمنا أن منحى الجملة الأمرية [أ] و هو الذي وجدناه في عناصر. النداء. بما في ذلك أداة النداء و المنادى: ألا يا هذان [أ] إسقياني [أ].

فالجملة الأمرية تعرف نغمة معينة و مميزة، و ما يجدر ذكره أن الأمر إذا صدر من العبد إلى رب الجلال والإكرام يسمى دعاء. ولما كان الطلب من الأسفل إلى الأعلى لا نستبعد أن يكون منحى الجملة الطلبية على نحو [أ]. في حين نجد بعض الآيات القرآنية الكريمة التي تتضمن النداء + الأمر. و لما صدر هذا الأمر من الأعلى إلى الأسفل لا نستبعد أن يكون منحى الجملة الأمرية على نحو [أ].

و الذي قلناه بشأن التنغيم، مع النداء، يصلح أن يقال مع أساليب النداء الأخرى. فالندبة يتجلى فيها أمر التنغيم. و كذلك أمر الاستغاثة. فلا يمكننا ندب اسم دون التصويت فيه و لا يمكننا دون رفع يسمعه المستغيث.

¹ شرح المفصل - لين بعلش، ج 1، ص 127.

² الألسنية - الد/ميشال زكرياء، ص 54.

إن كل مسألة في أسلوب النداء مرفوقة حتما بالتنغيم. و لعل اعتبار القدامى الأسلوب إنشائياً، تؤكد لما نقول. و من هنا كان من الإجحاف و التعسف التسوية بين جملة النداء: (يا محمد) و جملة: (أدعو محمد). و الأولى إنشائية و الثانية خبرية. الأولى لها تنغيم معروف حددته وسائل القرب و البعد و تحدده علاقة المنادي و المنادى و الثانية تخلو من هذا الموقف تماماً¹.

أسلوب الاستفهام

إتفق جمهور النحاة أن الجملة الاستفهامية جملة إنشائية. و يلج التنغيم هذا الباب معدلاً بعض الآراء النحوية إزاء هذا الأسلوب رغم وجود أدوات الإستفهام. و لهذا، إرتأينا توضيح أهمية التنغيم حين تضييع الأداة من حيث العمل فتتعلق إلى وظائف أخرى أو من حيث الوجود فتحذف من الكلام. فمن الآيات الجليلة التي يقوم فيها التنغيم بالوظيفة النحوية قوله تعالى: "هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يك شيئا مذكوراً"².

فقد قرر المفسرون أن (هل) معناها (قد) و فسرهما بعضهم بعبارة بسيطة و لكنها تحمل القصة كلها في طيها. يقول هؤلاء إن (هل) للاستفهام التقريري، أي اجملة تقريرية (Affirmative) و ليس استفهامية. و من هذا الشكل قوله تعالى: "هل جزاء الإحسان إلا الإحسان"³. و قد ذكر ابن كثير في تفسيره لهذه الآية: "أي لا لمن أحسن العمل في الدنيا إلا الإحسان إليه في الآخرة كما قال تعالى: "للذين أحسنوا الحسنى وزيادة"⁴... عن أنس ابن مالك قال: قرأ رسول الله ﷺ: "هل جزاء الإحسان إلا الإحسان" و قال: هل تدرون ما قال ربكم؟ قالوا الله و رسوله أعلم. قال: يقول هل جزاء من أنعمت عليه بالتوحيد إلا الجنة"⁵. و قد فسر الآية نفسها القرطبي و وقف عن أداة الاستفهام (هل) في

¹ ينظر: وظائف الصوت اللغوي - أحمد كسك، ص 105.

² سورة الإنشيان: الآية 01.

³ سورة الرحمن: الآية 60.

⁴ سورة يونس: الآية 26.

⁵ تفسير القرآن العظيم - ابن كثير، دار مصر للطباعة 1988، ج 4: ص 278.

الكلام على أربعة أوجه : " تكون بمعنى : قد. كقوله تعالى : "هل أتى على الإنسان حين من الدهر" و. بمعنى الإستفهام كقوله تعالى : "هل وجئتم ما وعد ربكم حقاً" و. بمعنى الأمر كقوله تعالى : "فصل أأنتم هنتهون"² و. بمعنى ما في الجحد كقوله تعالى : "فصل على الرسل إلا البلاغ المبين"³ و "هل جزاء الإحسان إلا الإحسان". قال ابن عباس : ما جزاء من قال : لا إله إلا الله و عمل بما جاء به محمد ﷺ إلا الجنة"⁴.

فوجود أداة الإستفهام ليس بالضرورة يتبع سؤال معين. فالآية الأولى - و لو أنها اكتست الصبغة الإستفهامية - فهي ليست إستفهاماً. و قد تكثر مثل هذه النماذج في الإستعمالات اليومية في بعض اللهجات. و على الرغم من وجود أداة الإستفهام، لم يكن كافياً لجعل السلوب الإنشائي خبرياً في مضمونه، إنشائي في شكله الخطي الكتابي. أما النطق النغمي فهو الذي أثبت بطلان الأمر. و هذا ما ذهب إليه الدكتور كمال محمد بشر في قول : "حقيقة الأمر أن هذه جملة إكتست بكساء الإستفهام و ليست إستفهاماً. و إنما هي نمط خاص يؤتى به في مواقف معينة بقصد التمثيل أو التوضيح. و هي خبرية في مدلولها"⁵.

و فيصل الأمر في ذلك - في رأينا - إنما هو التنغيم و موسيقى الكلام. أما دليل أن هذه الجملة ليست استفهامية فهو النطق. و ميزة هذه الجملة أنها تنطق بأشكال نغمية مخالفة عن الأنماط الموسيقية التي تشمل على الأداة (هل)⁶. فجملة مثل : هل محمد إلا مجتهد.

فهذه الجملة تحمل (هل) و هي تحمل كذلك الأداة (إلا). و هي التي أخرجها السياق كذلك من وظيفتها الأصلية إلى وظائف أخرى.

ج = [مسند إليه] [مسند].

ج = [أداة] [مسند إليه] + [أداة] [مسند]

¹ سورة الأعراف : الآية 44.

² سورة المائدة : الآية 91.

³ سورة النحل : الآية 35.

⁴ مختصر تفسير القرطبي : أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي. دار الكتاب العربي. ط2. 1406هـ-1986، ج5، ص108.

⁵ نعلم اللغة العام (الأصوات) - الد/كمال محمد بشر، ص195-196.

⁶ بنظر : المرجع نفسه.

فلو حاولنا استبدال الأداة (هل) بغيرها من أدوات الاستفهام فلا يتحقق المعنى المراد
و لا نقف على النعمة التي وقفناها مع الأداة نفسها.

ج = هل محمد إلا مجتهد.

ج = هل محمد غير مجتهد.

ج = أ محمد إلا مجتهد.

ج = لماذا محمد إلا مجتهد.

فبعدما كانت (هل) تفيد تقرير الأمر، تعطلت عن هذه الوظيفة لما استبدلنا أحد
العناصر في التركيب الأول.

هل	محمد إلا مجتهد
هل	حضر محمد
هل	تنتهي عن مصاحبة الأشرار
هل	هل حضرنا إلى زمن ينصر فيه الحق

فالأداة هي واحدة من حيث الرسم و الخط. إلا أن وظائفها مختلفة، و لما كانت
كذلك، استطاعت أن تغير نعمة كل تركيب و غيرت الأساليب من الإنشائي إلى الخبري.

و هناك نوعا آخر من الجمل يقوم التنعيم دليلا على ما هيته. و هي تخلص تماما من

أدوات الاستفهام. و في حقيقتها جمل استفهامية و منها قوله عز و جل: "يخلفون بالله

لكم ليرضوكم و الله أحق أن يرضوه"¹. و هي تساوي: أيخلفون؟ على إنكار وقوع

ذلك و التعجب منه، و التوبيخ عليه. فنعمة القارئ هي التي تنبه السامع أن هذه الجملة

استفهامية في الأصل، و لما أردنا بالأداة التوبيخ و التعجب من الأمر إستغنيا عنها أصلا.

و من ذلك أيضا قوله عز من قائل: "و تلك نعمة تمنها علي أن يحدث بني

إسرائيل"² و هي تساوي قوله: أو تلك نعمة تمنها علي؟

¹ سورة التوبة: الآية 62.

² سورة الشعراء: الآية 22.

إن التركيب الاستفهامي سواء أثبتنا الأداة فيه أم ألغيناها متشابهة باعتبارها إحدى القواعد التحويلية. لكنها لم تغير كثيرا في الأسلوب. أما التنعيم - فنحسبه - توليد الجملة جديدة، و هذا باستعمال عنصر إضافي له صبغة موسيقية دون خطية.

أ	محمد مجتهد
هل	
↓	

أما التنعيم فهو عنصر إستبدالي له اتجاه أفقي عوض ما اعتدنا إيجاد العناصر الإستبدالية في اتجاه عمودي :

محمد مجتهد !

نعمة تعجب

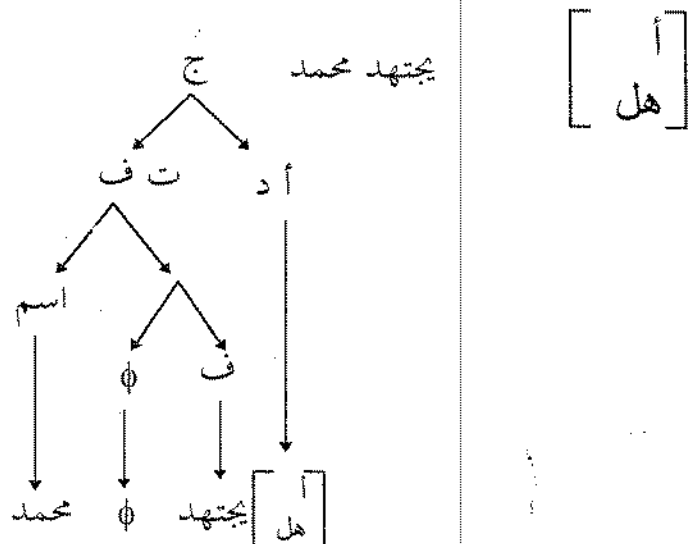
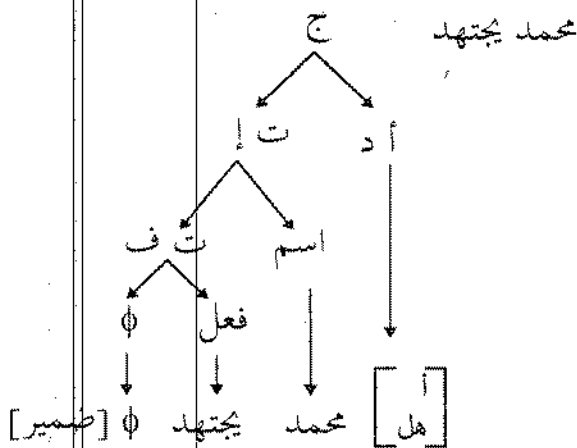
محمد مجتهد ؟

نعمة استفهام

فشكل الجملة يختلف عن وظيفتها. فكم من سؤال فقد غايته على الرغم من وجود الأداة. و كم من تقرير تحول إلى سؤال بنغمته المميزة دون إثبات للأداة.

و هكذا نستطيع بواسط التنعيم أن نقف على عمليتين لأدوات الاستفهام، و هذا بتخريج معاني مشتقة من البنية العميقة لصيغة الاستفهام. سواء أكان هذا الاستفهام في

التركيب الفعلي أم الإسمي. [أ هل]



أما عن العمليتين فهى : "تحويل المعنى العام في التركيب الأساسي المثبت إلى المعنى الإستفهامي في التركيب المشتق. أما العملية الثانية فهى تحديد الركن اللغوي الذي يستفهم عنه"¹.

فنظرية تشومسكي تجعل من أدوات الاستفهام عناصر توليد و تحويل التراكييب المثبتة إلى تراكييب جديدة هذه الفكرة التي يمكن تمثيلها في الشكل :

أ- استفهام + تركيب أساسي ← تركيب مشتق

ب- معننى (1) ← معننى (2)

و من الجمل التي تخلو تماما من أدوات الاستفهام و هي في حقيقة الأمر جمل استفهامية قوله تعالى : "يا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ"². حيث قرر المفسرون أن جملة (تبتغي) جملة استفهامية و تقدير الكلام : أتبتغي ؟ بحذف الهمزة. و الحكم بأنها استفهامية إنما يرجع في حقيقة الأمر إلى تنعيم النطق. فحذف الأداة يغني عنه تنعيم الجملة : [ف] تبتغي مرضاة أزواجك ؟

فالسكتة الحاصلة قبل الفعل، دليل على وجود أداة حذفت لدلالة السياق عليها. و نحسبها ضرورية الإثبات إذا إبتدأنا قراءة الجملة بالفعل مباشرة، و كأنها بمثابة همزة الوصل للفعل الساكن الفاء. و من ماثور كلام العرب قول امرأة لرسول الله ﷺ : ندى من لا صاح ولا أكل. و هي جملة تساوي : أندى من لا صاح و لا أكل ؟

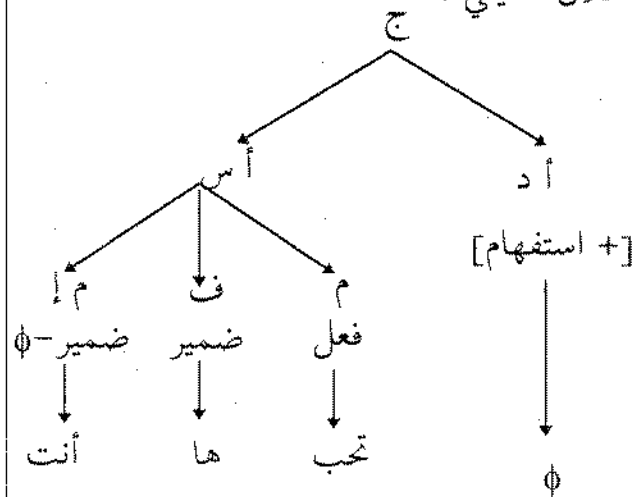
و من أمثال الميداني قولهم : تعلمني بضرب أنا حر شنه ؟ أي : أتعلمني ؟ و لعل ميدان الشعر يفيض بمثل هذه النماذج تعتبر النغمة أساسا لها و هي أمر سياقي على الإستفهام دون وجود الأداة. و لعل المثال الذي نستحسن الإبتداء به هو قول عمر بن أبي ربيعة :

أبرزوها مثل المهاة نهادي ❖ بين خمس كواعب أتراب
ثم قالوا : تحبها قلت بهرا ❖ عدد النجم و الحصى و التراب

¹ نحو نظرية لسانية عربية حديثة - الد/مازن الوعر، ص 164.

² سورة التحريم : الآية 01.

فقد استطاع شاعرنا حذف الأداة بلا لبس: "إذ أغنت النغمة الاستفهامية في قوله: (تحبها؟) بما لها من صفة وسيلة التعليق عن أداة الاستفهام. فحذفت الأداة و بقي معنى الإستفهام مفهوما من البيت"¹. و سبب تفتننا إلى الإستفهام هو الضغط. و قد ذكر حذف الأدوات في أكثر من مرة في كتب القدامى على أن يبقى التركيب في صيغة الإستفهام. فيمكن للفرد أن يفهم التركيب من خلال النبرة الصوتية على الفعل (تحبها) و يمكن توضيح البنية العميقة بهذا التركيب من خلال ما يلي :



و إذا كان من اللازم تنعيم الجمل حتى نقف على معانيها المختلفة، فهل يمكننا أن نميز، و بفضل التنعيم بين (كم الخبرية) و (كم الاستفهامية) ؟ و هل وجود علامة الاستفهام كافي للوقوف على جملة الاستفهام ؟ إن وضعنا لهذه العلامة غير مؤهل لوحده للدلالة على الإستفهام، إذا لم تكن الجملة في أساسها تحمل نغمة الإستفهام. و الذي قلناه في شأن (كم) الخبرية نقوله كذلك في شأن (كم) الإستفهامية). فليس إهمال و نسيان علامة الإستفهام في آخر الجملة الإستفهامية دليلا عن الإخبار و التكثير، إذا لم تكن النغمة تحمل هذه المعاني المختلفة.

فالفرق بينهما، أن (كم) الإستفهامية ناقصة الدلالة ما لم يصحبها جواب، على حين إن جملة فيها (كم) الخبرية، هي جملة تامة و قائمة بذاتها و لا تحتاج إلى متمم. و منه قول الشافعي :

¹ من وظائف الصوت اللغوي - الد/ أحمد كشك، ص 111.

❖ أحفظ لسانك أيها الإنسان

❖ لا يلدغوك إنه ثعبان

❖ كم في المقابر من قتيل لسانه

❖ كانت تهابه الأقران

فمجيء (كم) في هذا البيت، عرضة لقراءتين مختلفتين باختلاف طريقة أدائهما. و الراجح أنها للإخبار و التكثير من العدد. و لم نستنبط هذا من عدم وجود علامة الإستفهام، إنما من السياق الذي دلت عليه نغمة البيت.

اسم الفعل

لقي اسم الفعل في الدرس النحوي اهتماما كبيرا على غرار المواضيع الأخرى. و لسنا في مجال إعادة قول و ذكر ما جيء به في كتبهم و مصنفاتهم، إنما نحاول إبراز القيمة التنغيمية التي يتضمنها و التي يكتسي بها. و هي تخالف القيمة التنغيمية لمكونات الكلام الأخرى نحو : (الفعل، الاسم، الحرف).

يتفرع الفعل في اللغة العربية إلى (حدث، زمن) أما إذا تغيب أحد هذه العناصر فعده النحاة (فعل ناقص) مثل ما فعلوا مع (كان و أخواتها).



و الزمن في النحو ثلاثة أنواع قسّم على أساسها اسم الفعل.

أ- اسم الفعل الماضي.

ب- اسم الفعل المضارع.

ج- اسم الفعل الأمر.

أ- اسم الفعل الماضي :

يرى بعض النحاة تماثلا في المعنى بين الفعل و اسمه. و من النماذج التي يسفوها النحاة (هيهات) بمعنى بُعد. و (شتان) بمعنى افتراق. و الملاحظ أنه لا يمكننا وضع اسم فعل مقابل كل فعل. فالأمر مجرد مقارنة و ليس مطابقة في المعنى، فليس بمعقول أن يكون قولنا : هيهات الفشل. مساويا لقولنا : بُعد الفشل. لأن الدهشة و الحالة النفسية تنعكس في كلام المتحدث فيحدث نغما، يكون بمثابة القلب التي تخرج فيه الكلمة. ثم إن التركيب (بُعد الفشل) يمثل إخبارا لتكلم مؤداه بيان الفشل و موقفه منه، أما اسم الفعل (هيهات الفشل) فهو يمثل الاحساس القاطع بأن هناك فشلا قد يكون محتملا. و من ثم لا يصح أن يكون الموقف موحدا فيختلف التعبير و طريقته.

إن وجود نغمة مميزة على (هيهات) يمكن أن يحدث توازنا في الجملة. أما أن تؤخذ الجملة بشكلها أو بنيتها السطحية فلا يمكنها أن تؤدي وظيفتها.

هيهات	الفشل
بُعد	الفشل

1- هيهات ≠ بُعد (من حيث النغمة).

2- هيهات ≠ بُعد (من حيث الشكل).

3- هيهات ≠ بُعد (من حيث الوظيفة).

فتنغيم اسم الفعل له إمكانية دلالة الجملة وحدها. و إذا كانت (هيهات) لا تساوي (بُعد) من حيث الوظيفة، فهي تكمل الشطر المبلغ. إذ من الممكن أن توضع علامة تعجب بعد اسم الفعل. و نستغني عن بقية العناصر المكوّنة للجملة. فيكون التنغيم مرة أخرى معوضا عن حذف وقع في الجملة. فالسياق المقالي، أضف إليه نغمة اسم الفعل تؤدي وظيفة التواصل و التعبير. و ما نحسب علامات الترقيم مؤهلة لدلالة على الأساليب المختلفة. و تعتبر العلاقة التركيبية إحدى الفوارق الأساسية بين الفعل و اسم فعله و هي علاقة تظن لها النحاة القدامى.

	بعُد	الكفر عن المؤمن
ما	بعُد	الكفر عن المؤمن
الياء	بعُد	الكفر عن المؤمن
أ + الياء	بعُد	الكفر عن المؤمن
متى + الياء	بعُد	الكفر عن المؤمن

إن لهذا الفعل القابلية أن يأتي وراءه (جار و محرور) يليه من حيث الرتبة. و بالتالي تخرج هذه الجملة إلى بنية سطحية جديدة و هذا من خلال جملة نواة واحدة. أما سوابق الفعل و لواحقه فهي عناصر التحويل و التوليد. أما اسم الفعل.

	هيهات	الكفر
	هيهات	الكفر [φ]
النفى	هيهات	الكفر
الإستفهام	هيهات	الكفر
	الكفر	هيهات

أما اسم الفعل الماضي فلا يقبل علاقة شكلية و لا دلالية، و لعل راجع في أصله إلى كون التأثير و الانفعال قرين هذا الاسم. و هذا ما أكدته ابن يعيش في شرح مفصله: "و الغرض منها الإيجاز و الإختصار و نوع من المبالغة، و لولا ذلك لكانت الأفعال التي هذه الألفاظ أسماء لها، أولى بموضعها"¹. فإرادة الإيجاز هي التي حملت هذه الأسماء شحنات نغمية توحى بالمبالغة و التبيين. و هو ما رآه جمهور النحاة، في أن الإيجاز مع النغمة المميزة أبلغ من الفعل الصريح مع الحشو.

¹ الشرح المفصل - ابن يعيش، ج 4، ص 25.

ب- إسم الفعل المضارع :

إعتاد النحاة ذكر نماذج معينة في هذا الباب أهمها : (أف، أوه، أي) و ما نلاحظه أن قلة هذه الأسماء بينة. و كل محاولة تسوية بينها و بين أفعالها هي محاولات حُكمت على فشلها من أصلها. فلفظة (أف) في قوله تعالى : "فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْصَرِهْمَا"¹. و على الرغم من صغرهما أولا فهي لا تقال إلا بنغمة الإنفعال الشديد الساخط. و كأن شحنة نفسية استطاعت أن تنفذ إلى الخارج، فوجدت مخرج معينة فأحدثت هذا الصوت. و ليست (أف) مساوية لـ : (أتضجر). لأن الكلمة هذه تمثل جملة. و الجملة تتابع صوتي، و تفشي له فتتوزع قوته و يعرف برودة، أما إذا خرجت تلك الشحنة في كلمة واحدة فلا يبقى مجال للتوزع فتخرج الكلمة ثقيلة. و ليست (أوه) مساوية لـ : (أتوجع). أنه لو استبدل التآلم كلامه و عوض : (أتوجع) مكان (أي) لأثار سخرية و ضحك الحاضرين. و مثال ذلك هو في حالة تلقي إصابة مؤلمة فلا يقول : أتألم. أو : أتوجع. إنما يصدر أصواتا انفعالية دون شعوره و هي مظهر من مظاهر التعبير. كما كان بإمكانه أن يهتز جسمه كاملا، و هنا فإن هذه الهزة مساوية لتلك التعبيرات الصوتية.

و لعل هذا إختلاف بين بين الفعل و إسمه. فاتفق جمهور النحاة على كون الفعل جملة خبرية تحتل الصدق أو الكذب. أما إسم الفعل فلا يتضمن التصديق أو التكذيب. لأنه إنشائي إنفعالي تأثري. فانفعالنا و نطقنا لاسم الفعل يجب أن تصحبه نغمة تميزه عن الأساليب الأخرى.

أتوجع	ـُ	المضارع
أتوجع	ـُ	المستقبل
أتوجع	ـِ	الماضي
أتوجع	ـِ	المستقبل

فالفعل (أتوجع) يشير تساؤلا مفاده : من أي شيء أتوجع ؟ أو أسأل عن موضع الألم، إذا كان على مستوى الرأس أو الأطراف أو غيره، و كيف حصل ؟ و لماذا ؟

¹ سورة الإسراء : الآية 23.

كما يحتمل الفعل (سأتوجع) رسالة الإخبار لأنها تحتمل الصدق أو الكذب. فقد يتألم المشتكي من نزع ضرس، أو قد يتلاعب بالأمل و الوجد.

كما يصلح هذا الفعل أن يكون أساسا للتوزيع الزمني، فيأتي منه الماضي و المضارع و المستقبل. و هذا بناء على المطلب و الفهم السياقي و المعنى المراد.

السوابق + ألم + اللواحق

لا يقبل ضمير	أف	φ
	أفأف	سـ
ها	أف	لم
الماضي	أف	
المضارع	أف	
المستقبل	أف	

فالملاحظ من هذا الجدول أن كلمة (أف) لاثير في نفسية سامعها أيّ تساؤل، لا عن أيّ شيء أقول (أف) ولا لمن أقولها.

ثم انه لا يقال : أف الرجل. ولا: تأفأف. و لا : سأف. و لا : أفأف فلان. كما ترفض سبقها أو إلحاقها بزوائد متصلة أو منفصلة.

أما زمنها فهو حالي آني و لا يقبل التوزع عبر الأزمنة الثلاثة إلا ما جاء منه على سبيل الحكاية.

ج- اسم الفعل الأمر :

على الرغم من الفارق البلاغي الموجود بينه و بين فعله فقد تجوز لنا التسوية من حيث الإستخدام إذ الدلالة بينهما واحدة. و لعل هذا الأمر جعل مجيئه غزيرا في الإستعمال اللغوي. و هذا لوجود التأثير بين عناصر اللغة. و منها : (صه) بمعنى : أسكت. و (رويد) بمعنى : تمهل. و (آمين) بمعنى : استجب. و (إيه) بمعنى : حدث. و غير ذلك كثير في اللغة. و في هذا

يقول ابن الحاجب : "و أكثر أسماء الأفعال بمعنى الأمر، إذ الأمر كثيرا ما يكتفى فيه بالإشارة عن النطق بلفظه. فكيف لا يكتفى بلفظ قائم مقامه و كذلك الخبر"¹.

ففي الموقف الواحد نطلب من الشخص السكوت مستخدمين كلمة (أسكت) أو كلمة (صه). و نحسب أن المتكلم يطلب منه السكوت بالفعل الأمر. أما إذا تمادى في الكلام فنقول له : صه. فكل من فعل الأمر و اسمه من قبيل واحد و هو الإنشاء، غير المحتمل للتصديق أو التكذيب.

أنت	أسكت	صه
أنتما	أسكت	صه
أنتم	أسكت + وا	صه
أنتِ	أسكت + ي	صه
قلت :	أسكت	صه
	أسكت (يا محمد)	صه (يا محمد)

فالملاحظ أن الدلالة الزمنية واحدة و مشتركة بينهما، و الطلب واحد في القصد و التوجه. كما يلاحظ أنهما لا يتأثران بما قبلهما من سوابق، بينما يؤثران فيما بعدهما. و هما فعلا ن لازم. لا يتعلقان بمفعول به.

و لما كان تنغيما واحدا، سوى السياق بينهما. فجاءت دلالة الإنشاء فيهما واحدة، و لما كانت أسماء الأفعال جامدة التصرف، فهي لا تقبل لواحق. و لا يمكنها ذلك إلا إذا تصرفت فتسمو بذلك إلى مرتبة الفعل حين اتصاله بالضمائر أو غيرها.

و هكذا، و بعد هذا العرض المتواضع الذي حاولنا من خلاله الخوض في اسم الفعل نقف على مجموعة ملاحظات أهمها :

1- إن إسم الفعل الماضي و إسم فعل المضارع لا يقبلان التسوية لأفعالهما. في حين قبل ذلك إسم فعل الأمر عن نفسه.

¹ الكافية في النحو - ابن الحاجب، ج2، ص68.

2- إن دلالة إسم الفعل الماضي و إسم الفعل المضارع إنفعالية تأثرية، أما إسم فعل الأمر فدلالية طلبية.

3- باب إسم الفعل مستقل بالأسلوب الإنشائي، فلا يجوز إحداث علاقتها بالأسلوب الخبري.

4- يعتبر تنغيم أسماء الأفعال فيصلاً بينها و بين بعض أبواب النحو الأخرى.

5- حُضِيت أسماء فعل الأمر بنصيب الكثرة و الغلبة العددية، و هذا ما أثبتته ابن مالك قائلاً: "و غيره ك(وي و هيهات) نزر"¹. فالندرة قرينة الماضي و المضارع.

شذّ كلام بعض النحويين كثيراً عندما اعتبروا بعض أصول النحو العربي شذوذاً. والذي نقصده بالذكر هي لغة: أكلوني البراغيث. و هي لغة يأخذ الدرس النحوي بضعفها. و من النماذج التي ألفها النحاة في هذا الباب، هي قول الشاعر:

تولى قتال المارقين بنفسه ❖ و قد أسلماء مبعد و حميم

و قول الشاعر:

نصروك قومي فاعتزرت بنصرهم ❖ و لو أنهم خدلوك كنت ذليلاً

و قول الآخر:

رأين الغواني الشيب لاح بعارضي ❖ فأعرضن عني بالخدود النواضر

و قول رسول الله ﷺ: "يتعاقبون فيكم ملائكة". و قوله عز و جل: ﴿وَأَسْرِوا

النجمي الذين ظلموا﴾².

ففي النماذج التي ذكرت، يلاحظ تعدد الفاعل مرتين للفعل الواحد. إلا أن حكم التضعيف لم يأخذ به كل النحاة، فذهب منهم إلى إحداث و تحريج معاني ترضي تركيباتها على أساس الدرس الصوتي. و منهم عدّ ذلك من قبيل إبدال الظاهر من المضمّر. و منهم من رفض هذا، قال الأشموني: "و لا يجوز حمل جميع ما جاء من ذلك على الإبدال أو التقديم أو

¹ شرح ابن عفيف على ألفية ابن مالك، تحقيق: حنا الفاعوري، دار الجيل، بيروت، الطبعة الخامسة، 1997 ج: 2 ص(300).

² سورة الأنبياء: الآية 03.

التأخير لأن الأئمة المأخوذ عنهم هذا الشأن إتفقوا على أن قوما من العرب يجعلون هذه الأحرف علامات للتنثية و الجمع¹.

فقد استبعد الأشموني كون هذه الأحرف ضرب من الإبدال أو التقديم أو التأخير. إنما هي حروف دالة على التنثية و الجمع. فما أمر هذه الحروف، إلا للدلالة على شيء وليست هي هو. فألف التنثية دليل و رمز للتنثية و ليست هي اسم التنثية.

و لا يمكننا اعتبار هذه اللغة شاذة إذا سلمنا لها بالدور الإنشادي الذي يمكن أن يحدثه المتكلم عند إحداثه و تحقيقه للسكت في مثل هذه النماذج.

إن الواقع النطقي الإستعمالي، يثبت وجود سكتة بين أطراف القضية التي يظهر عليها الغموض. فحين نقول على سبيل المثال : أكلوني البراغيث، أو : نصروني قومي. فإن إحداث سكتة بين الفعل و بقية الكلام المستأنف تحمل سؤالاً مؤداه : من أكلك ؟ أو : من نصرك ؟ و هنا يكون الجواب إستئنافاً لجملة جديدة. و هذا الإعتبار هو الذي نحيه في قوله ﷺ : "يتعاقبون فيكم ملائكة". أما التقدير الوارد في هذا الحديث الشريف يوحى بوجود كلام سابق أساسه : "لله ملائكة يتعاقبون فيكم. ملائكة بالليل و النهار". فوجود السكتة سبيل للتبيين السليم. فكانت الوقفة على شبه الجملة لازمة بالفهم و لإستئناف جديد يبدأ بقوله : "ملائكة بالليل". و جاء في بعض القراءات قوله عز و جل : يسبح له فيها بالغدو و الأصال رجال². فورود فاعلين لعامل واحد يحتم وجود سكتة بعد قوله تعالى : يسبح له فيها بالغدو و الأصال. على أن نستأنف الجملة جديداً.

و إذا وقفنا عند هذا الحد من القضايا، فهي على سبيل المثال لا الحصر. لأن وظائف التنغيم تتجاوز هذا الحد فتيين : "المشاعر الإنسانية مثل الفرح و الغضب و النفي و الإنبات و التهكم و الإستهزاء و الإستغراب"³. فالتنغيم أثر صوتي لحالة نفسية، و لما تعددت الحالات النفسية، تعددت معها طرق التنغيم. أما عن الوظائف النحوية فهي كثيرة و متنوعة، منها :

¹ حاشية الصبان على شرح الأشموني، ج2، ص48.

² سورة النور : الآيتين : 36-37.

³ مصطلحات الدراسة الصوتية في التراث العربي - الأ/آمنة بن مالك، ص407.

تحويل الغرض من النفي إلى الإثبات، و من الإثبات إلى النفي. و تحويل الأسلوب من الخبر إلى الإنشاء، و من الإنشاء إلى الخبر. و في هذا النوع يعطي الدكتور مازن الوعر مثالا مفاده: إذا دخل الأستاذ قاعة المحاضرات و شعر أن الهواء مكتوم فيها و رغب في أن يفتح أحد الطلاب النافذة أو مكيف الهواء، فربما قال: الغرفة مخنوقة الهواء. و إذا أحد الشباب يفهم أن الحملة نوع من الطلب، فيبادر إلى فتح النافذة، أو تشغيل مكيف الهواء. رغم أن الحملة خبرية من حيث الشكل¹. فشكل الحملة لا يعني دلالتها الحتمية عن شيء محدد. و هذا ضرب من اختلاف الوظيفة كذلك. و يؤثر هذا: "في شكل المنحنى الذي تأخذه كل جملة"². فقد يكون المنحنى متصاعدا لوجود أداة الاستفهام أو النفي أو عدمها و سرعان ما يعرف هذا المنحنى نزولا، لا لشيء، إلا لتغير التنغيم. فتغير المعنى المراد من هذه الأغراض. و هكذا نصل بنوع من التدقيق في النظام النحوي للغة لنقول: "إنه إذا غاب التنغيم غاب النحو بالمعنى الكامل"³.

إنها لمسؤولية عظيمة يحتلها التنغيم في الدرس اللغوي، فعلى الرغم من طبيعته الصوتية فإن قيمته النحوية أهم من بعض الأدوات و العوامل النحوية. و به استطعنا أن نقف على الحضور الصوري لبعض الكلمات، و إن كانت اللغة لا تلغي طرفا. و ليس هذا الأمر حبيس اللغة العربية فقط، بل هو عام لكل اللغات أو قل: معظمها. إذ يمكننا تغيير: "الجملة من خبر إلى إستفهام إلى توكيد إلى تعجب ... دون تغيير في شكل الكلمات المكونة، و مع تغيير فقط في نوع التنغيم"⁴.

أما الجانب البلاغي الجمالي الذي يتضمنه التنغيم فيتمثل في طريق أداء النص: "و لو أخذنا نصا ممتازا من الشعر أو النثر، ثم طبقنا عليه ضوابط التنغيم عند نطقه، و في أداء مجيد الإلقاء، للأحسست بروعة الأداء و جمال المعنى"⁵. و الذي يجب ملاحظته في هذه العبارة أن:

* جمالية النص من حيث الأداء تكون بعد اكتمال نظمه و بنائه.

¹ دراسات لسانية تطبيقية - الد/مازن الوعر، ص 197.

² منهاج البحث في اللغة - الد/تمام حسان، ص 139.

³ علم اللغة - الد/عاطف مذكور، ص 136.

⁴ دراسة الصوت العربي - الد/أحمد مختار عمر، ص 195.

⁵ علم اللغة العام - الد/نوفيق محمد شاهين، ص 112.

* إن جمالية التنعيم لا تنحصر في مجال دون الآخر، فهو جامع النثر و الشعر. و ليس خاص بفرع دون الآخر.

و السؤال الذي نطرحه قبل أوانه : أما يجب أن نعيد قراءة بعض النصوص الأدبية الغابرة بإستعمال أدوات التنعيم ؟ فقد يُبدِّينا التنعيم اليوم ما جهلناه أمس ؟ أكثر من هذا : لما لا نعيد قراءة التراث العربي قراءة حديثة، و هذا بإستعمال كل المناهج اللغوية و الأدبية، الكفيلة بذلك ؟

المبحث الثالث : الوظائف اللسانية للتنغيم.

ملاحظات تمهيدية

قبل الولوج في دراسة الوظائف اللسانية للتنغيم، نقترح من جهة تبين الحدود و طبيعة الوحدات التنغيمية و من جهة أخرى أن نعرض المجالات التي تطبق عليها هذه الوظائف. حسب ليبرمان 1967 إن الوحدة الشعرية القاعدية المشتركة في كل اللغات تكون مجموعة النفس غير المسجل (unmarked breath-group) الموصوفة وظائفيا بشكل خاص على ضغط ما تحت لسان المزمار. إذا مصطلح مجموعة النفس مأخوذا بتفضيل ضيق يظهر أساسيا كوحدة على مستوى الأدائي، في حالة تحقيقه مرهون قليلا بالمتناقضات المفروضة من قبل التنفس نعتبر من جهتنا تبعا لأنصار المدرسة الدنماركية (glossematiciens) (توجيهي 1965) أن الوحدة التنغيمية الأساسية هي وحدة تغيير الصوت (unité de modulation) التي حددت من قبل الوزن النهائي (بمعنى من قبل تنغيم نهائي) و التي يظهر تحقيقها محصورا في الكفاءة اللسانية للفاعل. إن وحدة تغيير الصوت تناسب واقع الجملة الصوتية التي يمكن أن تتحدد ك: تتابع فونيمات محددة بالتقاءات الجملة. حسب هيرست 1974 يجب على الجملة الصوتية أن تحمل مركزا تنغيميا يؤثر على مقطع يحمل على محور النبر. إن مركز التنغيم للوحدة التعبيرية للصوت مركب من وحدة تنغيمية « Intonemes » لها قيمة تمييزية بنفس الحجم كالوقف (pause).

إن وحدة التعبير الصوتي تنقسم إلى مجموعات تنغيمية محددة بوجوب الوحدة التنغيمية النهائية أو غير النهائية و محققة من قبل التغير الدلالي من طرف واحد أو مجموعات الكميات الشعرية : التردد الأساسي، المدة، الشدة. و لكن ليس محتما أن يتبع بوقف. إن وحدة التغير مركبة غالبا من عدة مجموعات تنغيمية.

Fr - la soeur de Paul / ʔ / ira à Paris / ʔ / le mois prochain / لا /

It - il ministro degli esteri / ʔ / si rechera à Londra / ʔ / il mese prossimo / لا /

غير أنها يمكن احتمالها واحدا من النماذج التالية :

إن الإتفاق الآتي و الذي تحمل فيه كل الوحدات التعبيرية- على الأقل- مجموعة

تنظيمية تعبر بقاعدة إعادة الكتابة بالشكل التالي : $UM \rightarrow Gi (Gio)$

إن المجموعة النغمية و التي تعتبر المركب المباشر لعنصر التغيير تنقسم بدورها إلى مجموعة نبرية (GI) إن إعادة التقسيم هذا لا ينطبق مع اللغة الفرنسية حيث المجموعة التنظيمية (GI) والمجموعة النبرية (GA) تمثل العناصر الممتدة. إن الوحدة التنظيمية الصغرى هي المقطع (S)- وهو مركز التنظيم- والذي يتقبل الوحدة النغمية (INTONEMME). هذا الأخير يستطيع أن يتحدد بإلتحام مجموعة من المستويات العروضية المتضامنة مثل : الإرتفاع الطول الشدة (مارتين 1975، روسي 1979، دي كريستو، شفوولف 1981) إن تنظيم الوحدات التنظيمية يمكنها أن تتمثل في الشكل التالي:

و ت (م) ت (م) ن (م) ق (م) ق (م) ن (م) ت (م) و ت

$UM(GI(GA(S(GA)GI)UM)$

من الأنسب إذن أن ندقق أنه في بعض الحالات المحصورة مثل ما هو الحال في الكلمات الجمل. هذه الوحدات المختلفة تمتد إلى المعنى، مثلاً في الفرنسية: / PAUL و في الإنكليزية / YES/... إلخ)

والذي يمكن أن نعبر عنه بقواعد إعادة الكتابة التالية :

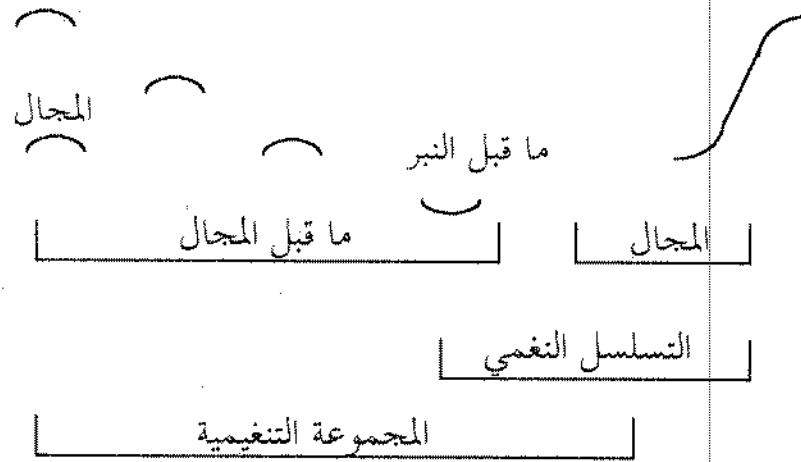
1- الوحدات المتغيرة (UM) المجموعة التنظيمية (GI)

2- المجموعة التنظيمية (GI) المجموعة النبرية (GA)

3- المجموعة النبرية (GA) المقطع (S)

و بخلاف مجموعة النفس و التي هي وحدة تنفسية (كمركب مباشر) و المجموعة الإيقاعية، حيث تحقيق التنظيم مرهون غالباً بعوامل غير لسانية. إن وحدة التغيير، المجموعة التنظيمية و المجموعة النبرية هي العناصر الإعتباطية و الإتفاقية التي تصير حسب تنظيم خاص لكل لغة، الكفاءة اللسانية لموضوع المتكلم.

إن المجموعة التنغيمية-والتي نعتبرها مركبا مباشرا لوحدة التغيير - هي وحدة مركبة ومشكلة من عدة عناصر ليس لها جميعا نفس القيمة الوظيفية. تفهم المجموعة التنغيمية المجال أو النطاق (CONTOUR) الذي يتحقق فيه الأنتونيم ما قبل المجال أو ما قبل النطاق مثلما هو موضح في الشكل (01) إن المقاطع الأساسية و النهائية لما قبل المقطع المنبور (pretonique) إن مجموع المجالات و ما قبل المقاطع المنبورة (contour + pretonique) تركيب وزن المجموعة النغمية.



(الشكل - 4) تمثيل بياني لمجموعة تنغيمية غير منتهية مثال في اللغة الفرنسية :

Le frère de Jean Marie / ʒ / في جملة :

Le frère de Jean Marie / ʒ / est arrivé hier / ɛ /

و قد أثبت (هيدنغ - كوش و ستودار كنيدى 1964 و أوتسري و ديكرستو 1972) أن (Attaque) و (Contour) و مجموعة النغمية لهما عمل وظيفي للتصميم الأول و قد أوضحنا أن التشفير و فك تشفير البنى التنغيمية يجرى أساسا على قاعدة هذه النقط المفتاحية. و فعلا فإن التنظيم التركيبي يسمح بتطبيع الشكل العام لكل سلوك مكرر تنغيمي و يتركب من زيادة على موضح قوى لتسلسل المكونات الدلالية و النحوية للجملة (دي كرسى 1955-1956) و هذه النقط المفتاحية ليس لها قانون فونيمي، لأنها تشارك بصفة مباشرة أو غير مباشرة في ظهور المحتوى بنفس الدرجة كالمورفيمات هكذا فالمجال المتضاعف و الذي يتحقق به الوحدة التنغيمية باعتبارها حاملة للدلالة الإستفهامية. من وجه النظر هذه تعتبر الوحدة التنغيمية الوحدة الصوتية الصغرى للمعنى (مورفيم تنغيمي)

(بلومفيلد 1933 و والس 1945) نفهم من جهة أخرى أن (Attaque) و الفونتيك التي لا تعتبر وحدات مستقلة يمكن أن يسكت عليها و على المحتوى الاستفهامي (أوتسري و دي كريستو 1972) المجموعة التنغيمية المركبة من استهلال و قبل النغمة و المجال و نظام تنبيه بنظام المورفيمات المتواصلة. يظهر نظام المجموعة التنغيمية جليا أن التنغيم شكل متواصل (روسي 1981 إن روسي و آل) يشتمل البحث في علم التنغيم (أنتولوجي) رفع قائمة الوحدات التنغيمية (Intonemes) التي تتركب المنظومة التنغيمية للغة و إحصاء وظيفتها.

و في المقابل تقدم البحوث في هذا المجال مهمة بالغة في كونها مكتملة. و كذلك في الفرنسية أغلب اللغات تتحد العناصر السابقة لجلب نتائج التحليل (ديلاتر 1966) و الحاصلة في الآن نفسه لأبسط و الأكمل بالنسبة للفرنسية و الذي يكون مفيد بوجه خاص لفهم نهاية هذا العرض.

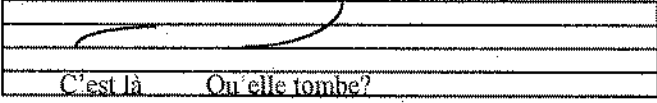
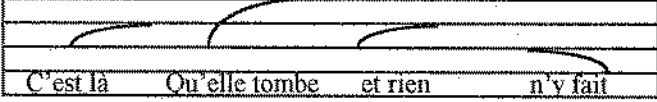
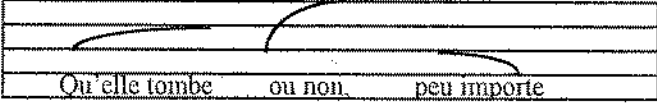
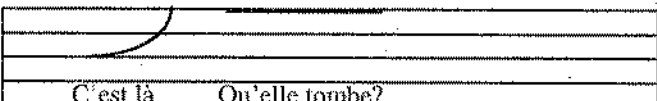
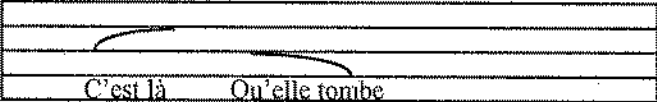
الشكل (5-) يمثل التنغيمات العشرة القاعدية مثلما حددها، ب. ديلاتر و الذي يمثل في الحقيقة الإشكال التنغيمية العشرة الأكثر استعمالا في اللغة الفرنسية و الموصوفة بمصطلح المستويات و المظاهر.

و لا ريب أن هناك كثيرا ما يقال حول الطريقة التي سير بها (ديلاتر) جدولوهو عرض تحليله. و لكن هذا بعدنا كثيرا عن الأهداف المتبعة في هذه الفقرة.

إن دراسة الوظائف اللسانية للتنغيم تحتم تعريفا سابقا لمختلف مجالات المحتوى حيث تطبق الوظائف. و نطلق من فكرة أن حدث الكلام يفترض ناطقا، سامعا و الحدث (موضوع الرسالة) استخلص تروبسكوي 1957¹ بعد بوهلير أن لكل مظهر منطوق ثلاثة أوجه : عرض (عبارة الموضوع المتكلم) نداء المتكلم (نظرا لممارسة هذا الأخير نوعا من الضغط) و إعادة عرض الشيء موضوع الرسالة. هذا التصنيف رقه جاكوبسون 1963 و الذي يستعمل فيه المصطلحات المختلفة لـ : الوظيفة الإنفعالية، الوظيفة المرجعية، (و الوظيفة conative). إن مستوى العرض مثلما توقعه تروبسكوي يؤسس بحالا مغايرا لأنه

¹ Troubletzkoy, N.S.(1957), Principes de Phonologie, Klincksieck, Paris.

يهم مرة واحدة اتصاف موضوع المتكلم (مع خصوصياته الفردية، الجغرافية، الاجتماعية، الثقافية).

	سؤال
	التواصل المؤهل
	التورط
	التواصل القاصر
	الصدى
	العارضتين
	القصدية
	التساؤل
	الأمر
	التعجب

(الشكل - 5) التمثيل البياني للتنغيمات العشرة القاعدية في اللغة الفرنسية
حسب (ديلانر 1967)

إنه مزج حقيقة الوظيفة التبيينية أيت الدراسة ملك لعلم الأصوات الأسلوبية وبين
الوظيفة التعبيرية أو التي تظهر من خلال التحليل اللساني. إعتبر (فون 1962) أن المستويات

الثلاثة التي ذكرها ترويسكوي تستطيع أن تقلص الإنشقاق المتضمن المستوى الموضوعي (تمثيلي أو مرجعي) والمستوى الذاتي الذي يتفرع بدوره إلى قسمين : الندائية و التعبيرية.

إن عملية الإحتواء الندائي في المجال الذاتي قابلة للإعتراض و المناقشة، لأنه إذا كان الإستفهام و النداء الدعائي حتى لا نأخذ إلا مثيلاتها. هي نداءات، وليست بالضرورة تعبيرية، و بالمقابل إن المفاجأة والترتيب يظهران بحسم مرة واحدة الوظيفة التعبيرية و الوظيفة الندائية. ونحدد من جهتنا حتى لا نعقد دون صلاحية هذا البحث.

ولنميز المستويين الموضوعي و التعبيري محافظين على الروح الحميمية التي تضمنها داخل حدث الكلام و أن إحتياجات التحليل تسمح لنا بتفريقهما.

من جهة أخرى إذا أردنا أن نعطي اعتبارا إلى الطريقة المرضية للوظائف التي يتحملها التنظيم داخل الإتصال اللساني، ومهم أن نعتبر أن للحدث اللساني عند (بيرو 1978¹) نظامين للتركيب :

نظام تركيب الرسالة (البنية الدلالية)

نظام تركيب العرض (البنية النحوية)

يمكننا أن نعتبر الرسالة كوحدة إعلامية للإتصال و العرض كوحدة للنحو يعني هذا كشبكة علاقات بين المركبات. ظهرت الجملة المحققة داخل الحدث الكلامي مثل إنتاج توافقي بين العرض وبين الرسالة. وتغييرها دلاليا مرهون في الآن نفسه بالمعلومات القادمة من عملية تركيب الرسالة وبين عملية تركيب العرض. إن الأخذ بالإعتبار تركيبية الرسالة تسمح للأخذ في الحساب الوضعية و السياق المرجعي الذي غالبا ما كان مبعدا عن التحليل اللساني. إن إدماج هذه العوامل تحدد ما يعالج لسانيا كعنصر إخباري. أو كحامل لمعلومة جديدة. إن الخبر (RHEME) هو الذي يعالج كعنصر غير إخباري و كركيزة معروفة مسبقا باسم الموضوع (THEME). إن هذين العنصرين هما المركبان المباشرين للرسالة و التي تحدد عملية

Perrot, J (1978), « Fonctions syntaxiques, énonciation, information », Bull. Société linguistique de Paris. LXXIII

تركيب الرسالة و عملية تركيب العرض. إن الأخذ في الحسبان لهذا التركيب يسمح لإدماج عناصر النطق و التي توضع في الاعتبار شيئاً آخر غير نحو العرض وتوجهنا بهذا الحدث إلى تحقيق دراسة أكثر تكاملاً للتواصل اللساني.

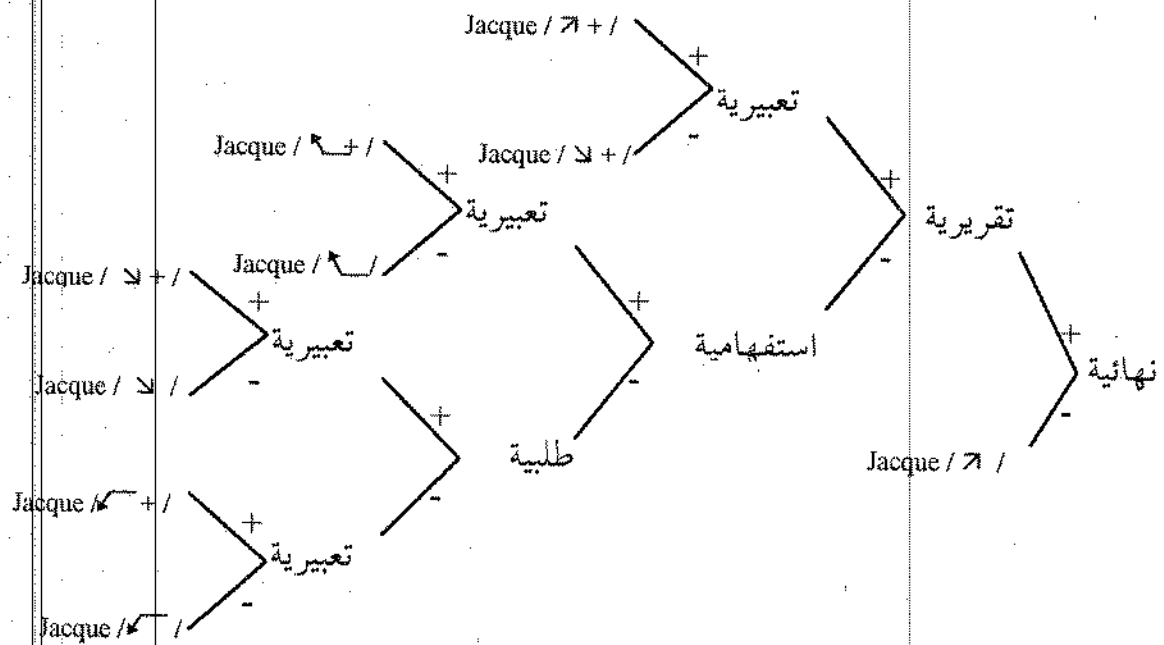
المبحث الرابع : تحليل الوظائف اللسانية للتغيم

1- وظائف التغيم على المستوى الموضوعي

أ- تعتبر وظيفة التكامل أو الوظيفة التكاملية (روسي 1977) إحدى الوظائف التركيبية الأساسية للتغيم والتي تمنح العلامة أو مجموع العلامات هيكلًا متينًا للجملة. و تعتبر كذلك الشرط الأساسي و الكافي لترقي كلمة مثل: (paul) إلى رتبة الجملة. هي علامة تغيم تنازلي /ك/ والذي يسمح لهذه الوحدة من النطق الأول لتركب جوابًا كاملاً لسؤال مثل :
qui partira avec marie ?

هذه الوظيفة التكاملية للتغيم موضوعة بوجه خاص و بداهة إذا أعدنا أخذ الأمثلة التي ذكرها (غروس، 1975) Max travaille d'une façon على أنه غير مرغوب فيها لما طبقنا معايير النحو التقليدي المقبولة من طرف استعمال التغيم التفضيلي هيكل العرض النحوي التغيمي Into-syntaxiquement مشكل جيداً. فمسموح لنا أن نجزم مع (روسي، 1977)، أن التغيم منسق بين وحدات النطق الأول (التمفصل الأول) Premiere Articulation (الكلمة، الجملة) التي بدورها لا يكون لها أصل.

ب- تتضاعف الوظيفة التكاملية إلى وظيفة صياغية في حالة إختيار تغيم نهائي يعلن لها غالباً وحدها الرتبة القاعدية التي تنتسب لها الجملة (الإثبات، الإستفهام، الأمر،... إلخ). و من الأنسب و اللائق أن نميز بين مستويين للنمط. والتي نأهلها هنا بالنمط الأول (غير التعبيري) والنمط الثانوي (التعبيري). الوظيفة النمطية للتغيم، بالمفهوم العام للمصطلح (و الذي يمارس على مجموع الأنماط التبيينية) و الذي يهتم المستوى الموضوعي الذي هو اشكالية هذه الفقرة و المستوى الذاتي الذي يعالج فيما بعد. يمكننا إذن، أن نمثل من الآن بمجموع الوظائف النمطية للتغيم باستعانة رسم بسيط مركب ثنائياً (الشكل رقم)



(الشكل - 6-) رسم بياني لمختلف الطبوع المعطياتية الأساسية والثانوية المحققة بالتنظيم

ج- الوظيفة التركيبية لرسالة التنعيم (الوظيفة الإخبارية) هي في مجموعها ثلاث : الوظيفة الجذرية، الوظيفة الخبرية (Rhématique) و الوظيفة التباينية. و يساهم التنعيم في التركيب الدلالي للرسالة و قابلا التعريف من الموضوع إلى آخر (دان، 1967 مارتين، بالتير 1977. مارتين، 1977. روسي و آل، 1981) و كذلك للتعليل و التفسير (كريستي 1977-1979) و مشيرين إلى التنظيم التركيبي لهذه العناصر.

يوافق الموضوع (Thème) المتعارف داخل الحدث التواصل. والذي أعطاه السياق المرجعي أو المتمثل في سؤال جلي، ظاهر أو ضمني و أن الخبر Rhème له مساهمة الإخبار (دان، 1964). يمكننا أن نعتبر، بنفس الطريقة أن الحجة و التعليق يتبينان على التوالي في موضوع الجزم (أي على أي شيء يقع الحكم) وعلى فكرة الجزم (على من تجزم النمطية. وكذلك في الجملة.

Marie / ʔ / son fils / ʔ / est toujours malade

	المجال	التعليق
الموضوع	الخبر	

(الشكل - 7)

حسب (روسي، 1981)، تعيين الموضوع مشرح في اللغة الفرنسية بثلاث وحدات تنغيمية (Intonèmes) أو مورفيمات تنغيمية.

التواصل المؤهل (Continuation Majeur).

التواصل المؤهل المتنادي (Continuation Majeur Appelative)

العارضتين / Par /

مثال: السؤال : Et son père?

الأجوبة :

(1) Son père /CM/ est en Espagne /TERM/
الموضوع الخبر

2) Son père /Cma/ il est en Espagne /TERM/
الموضوع الخبر

(3) il est en Espagne /TERM/ Son père /PAR/
الموضوع الخبر

(الشكل - 8)

المتابعة المؤهلة المتنادية / Cma / والتي تمثل تساؤلا غير مباشر حول هوية الموضوع،

والتي تظهر خاصة لما يكون موضوعا داخليا (Anteposé) مع أو دون أصل تحوي

وبالمقابل / Par / تصف دائما الموضوع المنطوق آخرا. (ديلاتر، 1966، يوندري، 1979).

/Cma/, /CM/, /Par/

هذه العناصر تؤسس المواضيع التي تسمح بتعريف مواضيع الرسالة وتبين زيادة عن هذا تسلسلها لما يحتمل هذا كثيرا. ويمكننا أن نوضح الوظيفة التسلسلية الموضوعية بالمثال التالي:

Le samedi Ma femme Elle joue au tennis

Thème 1	Thème 2	Rhème - S.V -
الموضوع 1	الموضوع 2	الخبر (ت.ف)

(الشكل - 9)

Advp. (تسيطر على) S.N

1- Le samedi / CMa /ma femme /CM / elle joue au Tennis /Term/

2- Le samedi /CM / elle joue au Tennis /Term/ ma femme /Par/

S.N (تسيطر على) Advp.

3- Ma femme /CMa/ le samedi /CM/ elle joue au Tennis /Term/

4- Ma femme /CMa/ elle joue au Tennis /Term/ le samedi /Par/

إن الأمثلة التي اقترحناها تبين حتمية أن التنعيم يضمن كذلك وظيفة خبرية

(Rhématique) في حالة كون الخبر (Rhème) مسجل دائما بوجود وحدة تنعيمية نهائية /Term/

وظيفة التنعيم الإخبارية الثالثة هي الوظيفة التباينية وهي محققة بالوحدة

التنعيمية /Term+/ الذي يظهر (emphrisation) غير التعبيرية للخبر (rhème) الموضوع داخليا أو خارجيا.

La voiture /Term +/J'ai vendu /Par/

J'ai vendu

الوحدة التنعيمية /term+/ ذات قيمة تباينية في هذا الموضع . لأنها علامة عاجزة و ملغاة مثلما

هو موضح كذلك في المثال التالي: (C'est La Voiture Que J'ai Vendu , Pas La Maison:

وبنفس القيمة المساعدة للتعبير "C'est...Que"

(C'est La Voiture /Term +/ Que J'ai Vendu /Par/

د- إذا كان التنعيم يؤدي وظيفة أصلية في بنى الرسالة؛ فهو يشارك كذلك في بنية

التعبير بفضل وظائفه النحوية (دي كريستو، 1975، 1978. مارتين، 1979). ومن هذا

المنظور يمكننا إعتبار أن الوظيفة الأساسية للتنعيم هي وظيفة المماثلة المحققة للوحدات النحوية و التي تسمح لنا بإثبات الحدود بين المكونات المشكلة جيدا. و فعلا (وحسب دي كريستو، 1978) فإن المكونات المباشرة للجملة هي منفصلة بمنهجية و بحد تنعيمي ما فتى يكبر /CM/.

françois/cm/ à téléphoné à Marie/CM/ De Paris /Term/.

و يمكننا أن نعتقد أن (فرانسوا) يمثل هنا موضوع الرسالة، وأنا نخلط بين ترتيبين للتركيب الدلالي و التحوي. يكفي المثال التالي لتوضيح أنه إذا كان /CM/ هو حقيقة مسجل موضوعي مركب كذلك لعلامة (SN) المكونة للجملة (P).

Que se passe t-il ?

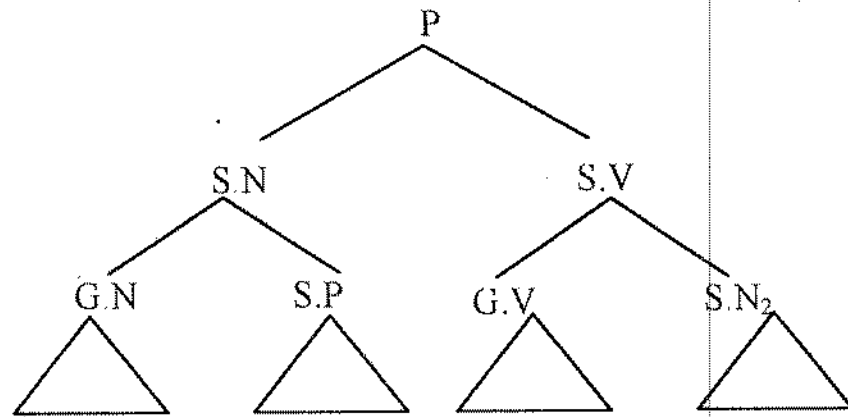
La Voiture /CM/ a grille La feu Rouge/Term/

S.N (ت.أ)	S.V (ت.ف)
-----------	-----------

Rhème (الخبر)

(الشكل - ١٥)

المكونات المسيطرة من لدن رموز الرتب SN, SV, SP عبارة عن شطب لطباعة حدود تنعيمية غير نهائية و قاصرة /CM/ مثلما تتعلق بالمثال التالي:



Le président /CM/ De l'assemblée /CM/ a repris /CM/ la parole /Term/

(الشكل - ١١)

يظهر إذا أن الوظيفة التبيينية للمكونات النحوية تتضاعف بوظيفة تسلسلية. و أن مستوى الحدود التنعيمية تنفذ إلى عمق العقد في البنية الشجرية لكونها نسبية.

أما في حالة كون التنغيم مسجلا للبنية النحوية القاعدية يظهر مثل الحدث المرئي (روسي، 1977¹) و مثل الكاشف للبنية العميقة. بهذا العنوان يسمح لرفع الغموض في حالة وجود بنيتين عميقتين تتحققان على البنيتين السطحيتين المتجانستين. وكذلك في المثال المقترح من لدن (المبرغ، 1967) :

1- La belle/CM/ Ferme Le Voile.(La jolie fille tire le rideaux)

2- La belle/CM/ Ferme Le Voile. (La Jolie Maison Le Cache)

يجب إذا أن نضيف إلى الوظيفتين النحويتين للتنغيم أنه قد عرضنا (وظيفة التبيين للمكونات النحوية و الوظيفة التسلسلية) وظيفة فك الغموض.

2- وظائف التنغيم على المستوى الذاتي

إن الظواهر اللسانية المنكشفة عن الكيفية محددة غالبا بعبارة العلاقة بين الملقى (المتكلم)، و المعبر عنه (المسافة) أي عما نريد التعبير عنه. (الوضع) بالعلاقة مع ما يقول، درجة (التكلف) بالغرض من لدن الملقى... إلخ) (غرنيش، 1979).

إن الصيغ التعبيرية للمعطيات تظهر شبه محصورة قليلا من طرف التنغيم، لأنه لا يوجد صراحة علامات نحوية تعبيرية. إن أول وظيفة تعبيرية للتنغيم هي التي تتألف لتسجيل حالة يضبطها المتكلم إتجاه الرسالة التي يعنها أو يرسلها (شك، مفاجأة... إلخ). ونحن نعتيها بالوظيفة الحالية أو الموقفية. هذه الوظيفة تعبر بالإستعمال المقنع و من الحدود السطحية المكونة لقاعدة النظام المركب (ليون، 1971).

هذه الوحدات التنغيمية و التي هي المورفيمات التعبيرية أو الوحدات النبرية EXPRESSEME تكون -من وجهة نظر المحتوى- وحدات متعددة القيم. إن هذا المفهوم الذي نواصل إدراك داله Signifie و التي يحمل حتى بعد ترشيح الأصوات من الكلام. (و هذا حسب روسي، 1977)، هذه الوحدات ذات القيم المتعددة يمكنها أن تدرج في التقسيم المرجعي للنحو، مثل الأسماء، الأفعال، و الضمائر لأن الوحدات التعبيرية

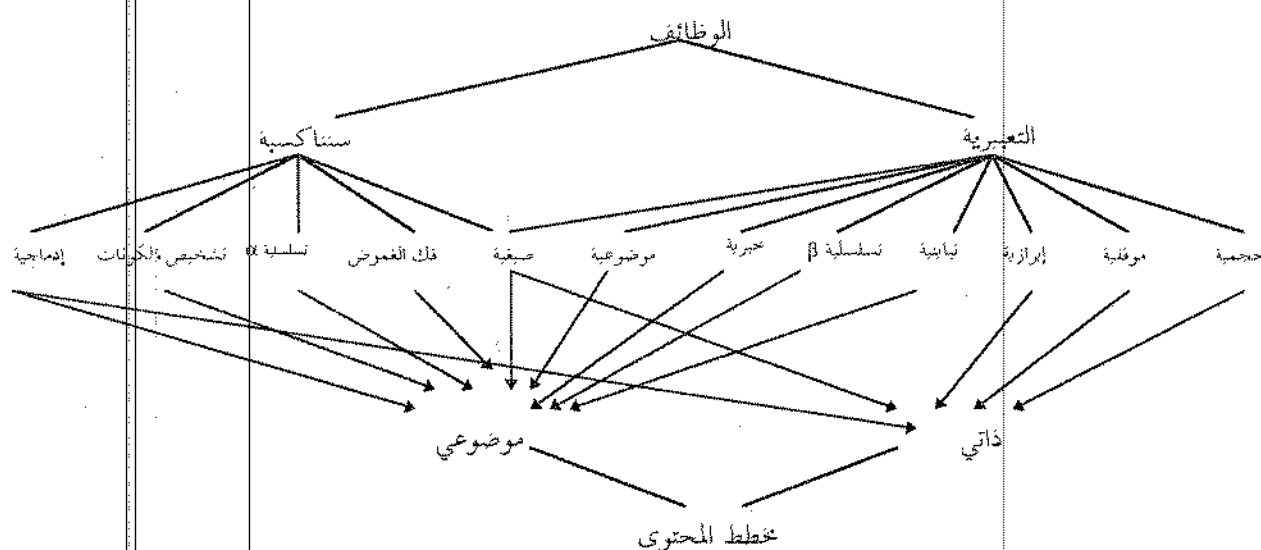
¹ Rossi, M, « Intonation et la troisième articulation », Bulletin de la société linguistique de Paris, LXXIII.

(Expressemes) تنسب للوحدات المرجعية بالوظيفة الدالة التي توفرها و تحققها. وقد رأينا من جهة أخرى في فقرة سابقة أنها تتضمن زيادة عن الوظيفة النحوية، الوظيفة التكاملية. و في حالة كون التنعيم يدل كذاك على مختلف الدرجات التي يمكن بها تحقيق مختلف الأنماط التعبيرية (مفاجأة، أكبر أو أقل ، الترتيب، أقل أو أكثر حسما) نقول إنه يضمن وظيفة الكمية و وظيفة الشدة أو بالأحرى الوظيفة التحجيمية و الوظيفة التأكيدية.

و أخيرا يمكننا أن نظهر وظيفة ثالثة تعبيرية للتنعيم و هي الإبراز (التعظيم) Enphatisation والتي تسمح بفك ما تبقى من أجزاء الكلمة مثلما هو الحال في المثال التالي :

la Jolie Petite Fille De Mon Voisin

فإذا أعدنا جميع الوظائف الإخبارية و التعبيرية في نفس الرتبة عامة، والوظائف العرضية، يمكننا تمثيل مجموع الوظائف اللسانية للتنعيم بالرسم البياني التالي:



(الشكل-12) الوظائف المعجمية و التبيينية للتنعيم على المستويين: الموضوعي و الذاتي

المبحث الخامس : جوهـر التنغيم.

نوضح ثلاث مستويات لجوهـر التنغيم، الجوهـر السمعي، الجوهـر الفزيائي و الذي يتحقق به التنغيم. وهو مركب فقط من تغيرات التردد الأساسي (FO) بينما دريسات حديثة تظهر حتمية أن هذا الجوهـر مشكل من تركيب لكميات ثابتة يمكن من خلالها ان يتضمن على الشدة، المدة، الفاصلة، و الطابع. في جوهـره السمعي. فالتنغيم إذن فونيم متعدد المعايير Pluriparametrique إن تغيرات التردد الأساسي (FO) مرتبطة بقاعدة عامة في تطور الضغط على منطقة ما تحت لسان المزمار Sous Glottique، إلى تغيرات شدة الأوتار الصوتية والتباعد المعتدل للغضروف الحنجري (الطرجهالي) Cartilages Arytenoides. إن تقاطع منطقة ما تحت لسان المزمار يثير زيادة في مجرى تدفق الهواء من خلال Glotte. و نتيجة لهذا يقع تذبذب في إيقاع الأوتار الصوتية. الحدث نفسه يمكن أن يتحقق بزيادة شدة الأوتار الصوتية وتخفيض كتلتها، والتي هي مراقبة تسويات الحنجرة/التردد الأساسي.

(حسب كولي، 1975)، إن الإنخفاضات المنتظمة للتردد الأساسي (FO) المراقبة أثناء بعث معلومة بالهولندية (خط الميل) Ligne D'inclinaison تكون ملازمة للتوقف المنتظم للضغط على منطقة ما تحت لسان المزمار Sous-Glottique، بينما التغيرات الإيجابية و السلبية للتردد الأساسي (FO) من جهة، و من أخرى. و هذا المنهج يتعلق خاصة بعمل عضلة Crico-Thyroide أين التقلص والارتخاء يكون لأحداث مختصة تجعلها تنمو وتنقص حسب تغيرات التردد الأساسي (FO). لكن خط الميل غير مصرح في جميع اللغات من جهة أخرى كونه أعطينا الأهمية لإختلافات الضغط على منطقة ما تحت لسان المزمار Sous-Glottique، والتي سجلت في إرسال الكلام. و إنه من المحتمل أن مراقبة التردد الأساسي (FO) مضمون أساسا بتعديلات الحنجرة. و بالمقابل فإن إختلافات الشدة متلازمة لإختلافات الضغط على منطقة ما تحت لسان المزمار Sous-Glottique، (كرتون و مارشال 1972، ليبرمان و آل 1970). وإذا كانت مسؤولية Crico-Thyroide في زيادة التردد الأساسي (FO) مسلم بها من لدن معظم المختصين. و من الصعب، في المقابل أن نخص انخفاض التردد الأساسي

(FO) إلى عضلة محددة. من بين المترشحين المحتملين لانتاج هذا الحدث، نذكر في أغلب الأحيان Sterno-Thyroide. إن في هذا التباين يشير النغم إرتقاء شدة الرباط الصوتي Ligament Vocal (فيجيمورا، 1979) و Thyro-Arythenoide Lateral (لندكفست، 1972) الذي عليه أن يختصر طول الأوتار الصوتية و يقلل من شدتها الطولية (سوبرغ، 1979) مع فرضية أن تطورات التردد الأساسي (FO) تتعدل بمجموعتين من العضلات المعاكسة: المسرعة و المبطأة. وبدون ذلك لا يمكن إعطاء معلومات أكثر دقة على حقيقة هؤلاء. يظهر في ضوء الدراسات الحديثة أن تغيرات التردد الأساسي (FO) مرهونة بعضلات عديدة و متنوعة، مثل Genio-Hyoide الذي يمكنه أن يبعد كثيرا عن الحنجرة (فيجيمورا، 1979). و من الممكن إذن وفي وضع معرفي أن نقترح نموذجاً فزيولوجياً لمراقبة التردد الأساسي (FO).

إن اختلافات المدة تقلل من المشاكل خاصة إذا علمنا أنها تتصل جيداً مسرعة التحرك عند الناطقين.

إن ميزة تعدد المعايير للتنغيم يتعلق بوضوح من الدراسة بجوهره السمعي. إن يختلف المعلومات التي تظهر على المستوى النغمي مشحونة أثناء حالة الإستقبال بالمجرى النسقي الذي يركب الجوهر الإدراكي للتنغيم.

في الفرنسية الوحدة التنغيمية Intonème النهائية تتحقق في أغلب الحالات بنغمة ساكنة داخل سجل مهم، لكن الإخفاض المنتظم للشدة و الذي يصاحبها تحريك الإدراك للسقوط النسقي الذي له قيمة نهائية. و نجد في الدراسات الحديثة التي قام بها روسي (1979-1981) رؤية مهمة على النمطية التفاعلية بين قيمها. كما نجد كذلك بعض التشريفات في الشكل (12).

و أثبت كذلك أن السعة الذاتية مرهونة بقسط وافر بالمدة (مينسون، 1977) و أن المقاطع التي تحمل تغير نسقي تمتد حتى تظهر أكثر طولاً من المقاطع الملونة بنغم ثابت (لهيسيت، 1976).

و لا يجب أن يغيب عن أذهاننا - من جهة أخرى - أنه من اللازم أن نميز مستويين للإدراك: المستوى المحيطي، أو مستوى الإصغاء و المستوى الثاني، المتعلق بالتكامل الوظيفي. إن التمييز في لغة يجب أن يفهم كفعل مركب و يتم على مستويات مختلفة. إن القرارات اللسانية التي تنبعث من المراكز العليا، خاضعة لتطورات رجعية التي وظيفتها المراقبة، وبالطبع تصحيح المعلومات القادمة من مراكز الإدراك النهائية. هذه الأحداث الرجعية تطبق أساسا لما تصبح المعلومات التي تظهر على المستويات الداخلية غامضة. يظهر كذلك أن القرارات اللسانية تقنع بالأحكام السمعية و أن التكامل الوظيفي ينبثق من اللهجة بين هذه و تلك.

و بوجه عام إن دراسة البنى التنعيمية تحتل مستويات عديدة للتحليل و التي تمثل درجات التجريد المختلفة (هارت¹ و كولي 1975)، إن البحث التجريبي و الذي يحمل على الجوهر السمعي يؤسس الكيفية الأقل تجريدا و الأكثر استقامة لملاحظة المظاهر الملموسة و المتماثلة للتنعيم، في حين إن أبسط تحويل للمظاهر الموضوعية للتردد الأساسي، الشدة، المدة تمثل المستوى الأول للتجريد. و من جهة أخرى التحليل السمعي الدقيق لم يكن منذ القدم حياديا، لأن نتائجه ارتبطت بالجانب المنهجي و بالوسائل المستعملة.

و قد بلغنا المستوى التجريدي الثاني لما استعمل المجرد أذنه أو أذن المخبر كوسيلة تحليل لاستخراج من الرمز السمعي بعض المعلومات. نتعدى درجة جديدة للتجريد إذا حاولنا تحويل هذه العلامة بتشغيل معرفتنا بالمتباينات الإدراكية و اللسانية.

أخيرا إن المستوى التجريدي العالي ارتكز على اعتبار العناصر العرضية (النبر، النغم، التنعيم) أشكالا حقيقية مثل أنظمة الوحدات المجردة تركيبيا منظمة و لدراسة العلاقات التي تصونها هذه الوحدات داخل كل نظام، و كذلك مختلف الوظائف اللسانية.

إن تحليل جوهر السمعي للتنعيم يمكنه أن يحقق على العموم مناهج عديدة، منها ما يطلب تشغيل تقنيات و فنيات محضرة جيدا و أوجزناها هنا بـ Faute de place لفحص المسائل المثارة من طرف قياس التردد الأساسي و من الممكن أن نعيد صياغة المناهج التي تسمح بتحجيم الاختلافات لهذه الكمية في مجموعتين كبيرتين، و نعتبر الأمر محصورا في

¹ Hart, J. and Collier, R (1975), « Integrating Different levels of Intonation analysis », J. of Phonetics

تغيرات الحنجرة و استخراج التردد الأساسي (FO) من العلامة السمعية للكلام. في الحالة الأولى كنا نستعمل غالبا un laryngographe أو laryngophone حسب (فاير 1957 وفورسان و أبرتون 1971) هذه الأجهزة التي تقيس تغيرات الممانعة الكهربائية Impédance électrique من جهة و من جهة أخرى الحنجرة un laryngographe نظري نقيس به تغيرات الشدة من خلال الضوء الذي يمر عبر لسان المزمار la Glotte هذه التغيرات ملتقطة من طرف خلية الصورة الكهربائية Photo électrique و عن طريق المجرى الأنفي. عندئذ تضاء قاعدة الحنجرة على مستوى fosse susternale عن طريق جسم مضىء. غير أن تشغيل أو عمل هذه الأجهزة يظل مثقلًا كثيرًا و أن العلامات التي تصدرها بات من الصعب تفسيرها.

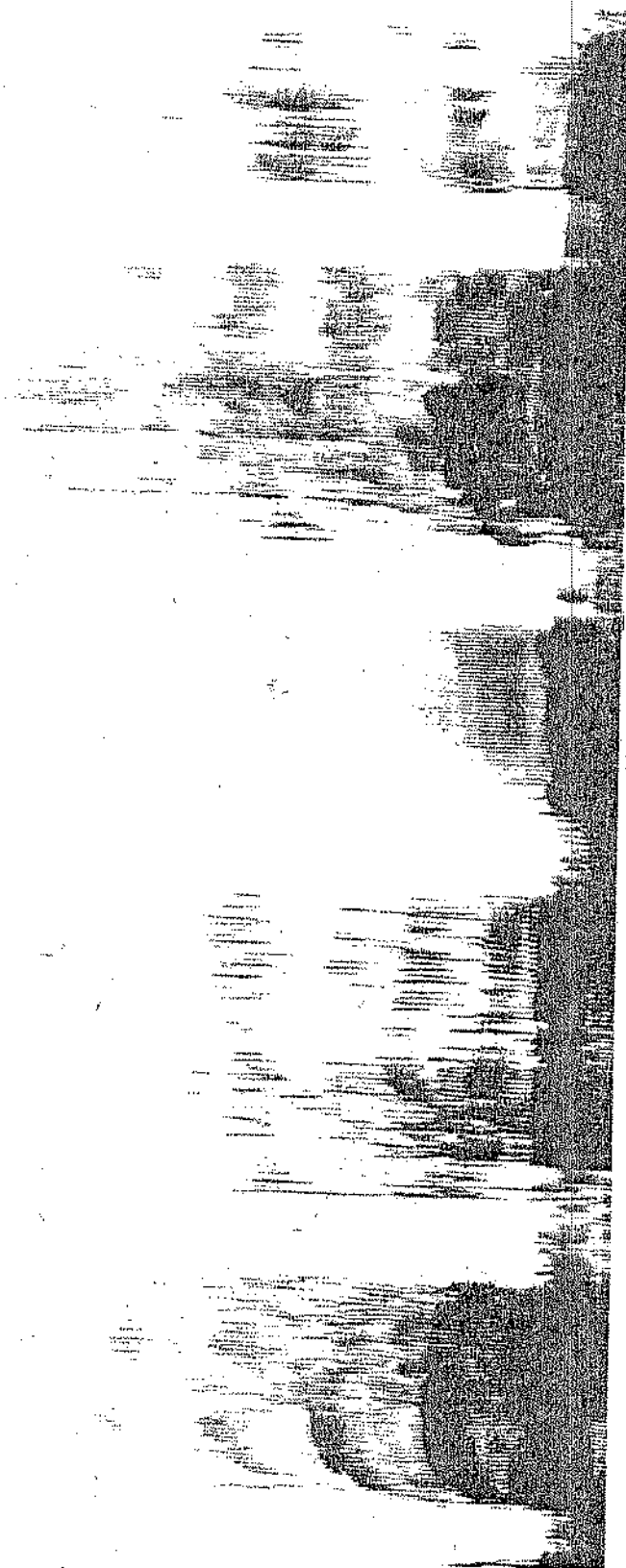
يمكن كذلك استعمال un laryngographe أو un accéléromètre و هما حساسان للتغيرات الميكانيكية (بيكال و ريزو 1965) و هي مؤهلة لكشف تغيرات الحنجرة. و لما كان un laryngographe موضوع على مستوى الحنجرة بمساعدة حزام و un accéléromètre تحت تفاحة آدم فإن قيمة تشغيل هذه الأجهزة خاضعة لوضعيتها الحسنة.

طريقة أخرى أكثر قدما تركز على التقاط الموجات الصوتية في مخرج المجرى الصوتي في متوسط الميكروفون Microphone هذه العلامة يمكن أن تسجل ببيانيس بمساعدة Oscillographe أو عن طريق استعمال الأشعة ما فوق البنفسجية التي تسمح برؤية الإهتزازات على الورق، هذه الإهتزازات التي تصاحب إنتاج الأصوات المجهورة. و إنطلاقا كذلك من Oscillogramme المتحصل و كذلك متعلق بسهولة أن نقيس مدة كل فترة أو مرحلة (T) و أن نحسب التردد (F) التردد الأساسي (Fo) بفضل الوظيفة التي تربط قيمتها.

$$F = \frac{1}{T}$$

يمكننا أن نقوم بنفس العملية بالنسبة للعلامات الصادرة من laryngophone هذه التقنية التي أصبحت غير دقيقة، أما في يخص الجهاز الطيفي Spectographe أو Sonographe يسمح بمرونة أكبر و معالجة أوسع من l'Oscillographe. بينما le Sonagramme ذو الشريط العرضي (الشكل 13) يجعل بالضرورة التردد الأساسي للمتكلم أقل من عرض شريط الترشيح

TYPE B/65 SONAGRAM. KAY ELEMETRICS CO. PINE BROOK, N. J.



७

3.

-A3- ٤٣١

aaba:ka aabu:ka aabik aabik aabik aabik

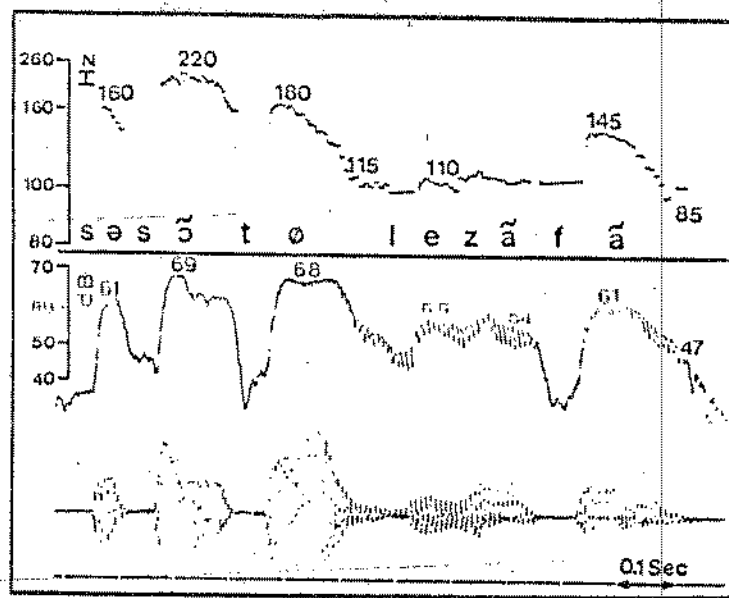
رسم طيفي بالحزام الواسع للكلمات (أباك، أبوك، مربية في الرسم من اليسار إلى اليمين)

(300 Hz) و البنية المتكررة للأجزاء المجهورة و التي تظهر تحت شكل أتلانم عرضية تناسب التحريكات المزمارية (Glottales) و كونه مسلم به أن كل واحد من هذه الأتلانم يبين بداية فترة، فمن الممكن أن نقيس هذه، و نذهب لتعريف قيمة التردد الأساسي (Fo). إلا أن هذه المنهجية لا يمكن أن تطبق على الصوت النسائي ولا على صوت الأطفال لأن تردديهما الأساسي (Fo) هو غالبا أعلى من شريط الترشيح. هذا الغيب يمكن التخلص منه إذا أجرينا حسابات التردد الأساسي (Fo) على sonagramme ذي شريط ضيق يتميز بتحديد جيد للتردد الأساسي (Fo) هذا النوع من sonagramme يعطي صورة حول بنية النسقية التي تتركب الأصوات الحلقية. مثل التوافقات هي اجتماع كامل للتردد الأساسي ، والذي يفرق انسجامين متجاورين. نعين غالبا تردد التوافق الخامس أو العاشر ونقسم الأعداد المتحصلة على خمسة أو عشرة وهذا ما يسمح بتخفيض القياس بنسبة: 5/1 أو 10/1 (ميتا، 1971).

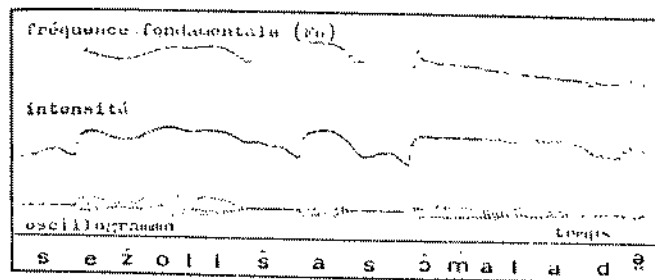
إن التردد الأساسي (Fo) يمكنه كذلك أن يستخرج من علامة الكلام بفضل استعمال جهاز محمول خصيصا لهذا العمل، و يتعلق الأمر بكاشف للتنسيق (إذ من الواجب أن نسميه كاشف للتردد) . والذي رأى النور سنة 1937 من قبل (غريترماشر و لوترموزر) و الذي لم يتوقف عن التكامل في خضم العشرية الأخيرة.

إن مبادئ تشغيل الأشكال المختلفة للكشف قد فسرت بكترة من قبل (مارتين، 1970) و (تاستون 1972) و إليهما نبعت القارئ الراغب في تعميق معارفه في هذا الموضوع.

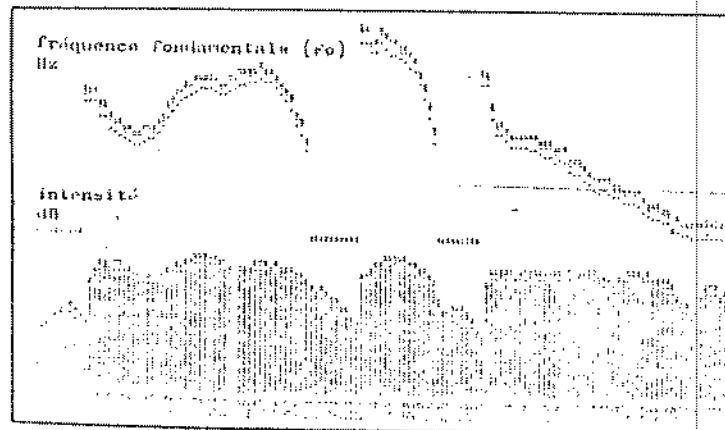
إن الكواشف المألوفة تسمح بقياس تردد العلامة فترة بعد فترة (الشكل 14-) و متابعة التغيرات الزمنية لـ التردد الأساسي (Fo) في أدق تفصيلاته. يمكننا أن نزوج بين الكاشف التوافقي و المسجل Galvanométrique و نقطف حينئذ شكل المنحنى لـ التردد الأساسي (Fo) على الورق (الشكل 15) نرفق عادة بهذا Oscillogramme الأخير (الذي يفيد في تقطيع الوحدات الصوتية) و خط الشدة، تحليل هذه القيمة كونها تحصل معا بمساعدة كاشف للشدة. في بعض الحالات يكون ظهور منحنى التردد الأساسي (Fo) للبيان يحقق على Oscilloscope أو على شاشة التلفاز (مارتين 1972).



a



b



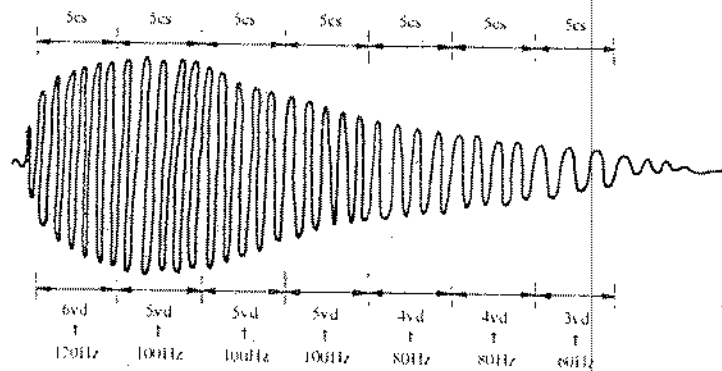
الشكل - 14 -

شكل يبين مختلف التغيرات الزمنية للتردد الأساسي (F0)

أنظمة أخرى للمعالجة، و التي تحتم استعمال الجهاز الإعلام الآلي سمحت بالحصول على المنحنيات الرقمية للتردد الأساسي (Fo) مباشرة و للشدة و التي عليها قيم الكسيات مسجلة بـ (هرتز) و (دسبال) (تاستون و روسي 1977) ينظر الشكل (٨٦) و في بعض مجالات تعليم اللغات لغير الناطقين بها و إعادة تدريب العسر اللغوي و هي صالحة بوجه خاص لتهيئة نظام الكشف الآلي و هو قادر على التأقلم فوراً لمختلف الشروط المحيطة و إلى مختلف أنماط الصوت. إن نوع كاشف النسق مرهون بقابليته لحل بعض المسائل الشائكة و بالخصوص مثل دقة التحليل، تتابع التغيرات السريعة و القفزات (Octave). إنحراف المرحلة، مقاومة الصوت، إدراك التردد الأساسي (Fo) و توافقات عليا و تأطير الترددات المختارة لتحليل حسب وظيفة سجل المتكلم.

يجب أن تختص من جهة أخرى بحركية أكبر، حتى نتمكن من دراسة الصوت النسائي و صوت الطفل. إنها مناهج الكشف للجيل الجديد و التي تستعمل المناهج الرياضية المبرمجة داخل جهاز الإعلام الآلي و الذي يتأسس على معالجة زمنية (Autocorrelation) أو طيفي للعلامة و نستطيع كذلك رفع هذه الصعوبات و نركب وسائل أخرى موثوقة و ناجحة.

Fiabiles et performentes



$$F = \frac{1}{T} = \frac{100}{0,83} = 120 \text{ (هرتز)}$$

حسب (لیوی ومارتینی . ۱۹۶۵)

الخاتمة

اللغة كائن حي. تتجدد وتتغير ككل الأحياء، ولا يمكن أن تثبت على حال لأنها لا تكتسي بصفة الثبات كالدين. فالتعامل معها يكون من وحي طبيعتها المرنة، التي تأثر وتأثرت بغيرها من الظواهر الاجتماعية.

و لما كان التطور ناموس وسنة كل الأمم والشعوب، انعكس ذلك على لغاتها فكثير من اللغات تغيرت بتغير مواطن وجودها، وكم من اللغات إندثرت باندثار أممها.

و اللغة العربية إحدى اللغات التي واجهت وصارعت، فبقيت. وحصلت على شرف احتواء و تضمين لفظ القرآن الكريم. ولم تزل هذه القيمة من لفظها إنما من جوهر كامن في طبيعتها بالذات. لا من حيث الشكل والموضوع فحسب إنما مما يفوق كل هذا ويتجاوزه.

و لم يبق الدرس الصوتي بمعزل عن الظواهر اللغوية الأخرى، بل كيف يكون له ذلك وهو في مجال ممارسة اللغة بشكل مباشر. فاللغة المنطوقة أبلغ في المفاهيم من اللغة المكتوبة. وهذا التفضيل الذي عقدناه في هذا المجال صادر من قيمة و جوهر الصوت اللغوي.

و إذا تناولنا بالتحليل ظاهرتي النبر والتنغيم في اللغة العربية فنحن لا ننقص عن هذا العمل. وكيف يكون لنا و طبيعة الموضوع لم تحتصر في الدراسات العربية الحديثة. فالمادة اللغوية متشعبة الرؤى و المفاهيم ومحاولة معالجتها تفرض علينا ألا نفرق بين التخصصات وأن نعيد الدرس الصوتي إلى ما كان عليه من حيث المعالجة الموسوعية و الموضوعية.

و عند معالجتنا لهذا الموضوع وقفنا على مجموعة ملاحظات ختامية لا نزعم لأنفسنا سبق الحديث عنها وهي:

1- إن دراسة اللغة لا يجب أن تكون بمعزل عن الظواهر الأخرى. الاجتماعية منها خاصة، وإذا قلنا الظواهر نقصد بها نتاج البشرية، منذ الأزل.

2- لم يتعامل القدامى - بالخصوص - مع ظاهرتي النبر والتنغيم تعامل الشارحين المفسرين لأسبابها ونتائجها إنما عملوا معها، من حيث وظيفتها في المعنى. فكانوا يتحسسون وجود الظاهرتين في كلامهم اليومي لكنهم لم يقفوا عند تعليله لأن الظاهرتين تحتلان موقعا

وسطا بين مجموعة من العلوم و كل طرف يبرئ عمله منهما في الوقت الذي كان يجب أن يحتضنها الجميع.

3- إن نظام المقاطع في اللغة العربية أساس لفهم كثير من الظواهر اللغوية و التي تبنى عليها الأعمال الأدبية الكبرى، فالقراءات المتعددة لا يجب أن تهمل جانبا معينا من العلم فالكمل وحدة متكاملة متلاحمة.

4- إن محاولة نفي وجود ظاهرة التنغيم عند المحدثين لم ينفىها و كان الأولى على الباحثين العرب أن يجتهدوا في تعاملهم مع الظاهرة لأن الإستعمال هو المبين والكاشف الحقيقي لوجود الظاهرة فعدم معالجتهم للظاهرة لا يلغي وجودها.

5- لقد بقي القدامى عاجزين في تعاملهم مع كثير من الظواهر اللغوية، و ما كان لهذا أن يكون لو ضبطوا معجم مصطلحاتهم العلمية فتتوحد دراستهم و أهدافهم.

6- يختلف النبر الموسيقي عن النبر العروضي فلكل واحد مجال و قوانينه الخاصة به فلا تداخل و لا تناوب في المهام.

7- يعتبر الجانب النفسي الأثر البالغ في عملية الإبداع الشعري، فليست عملية الإبداع مجرد جمع لمصطلحات و تراكيب جميلة الصياغة إنما هي إحساس و شعور قبل كل شيء.

8- إن الدرس النحوي باب واسع المجال و كثيرة هي المواضيع التي يجب أن نعيد قراءتها وفق المنهج الصوتي التنغمي. فالجملة المكتوبة تتعدد مفاهيمها و دلالاتها. بمجرد نطقها، فمن الإجحاف بحق أن نلزم جملة أو كلاما معاني لا نقصدها.

9- إن تراثنا العربي زاخر بجواهر لم نعرف كنهها إلى يومنا و لعل هذا راجع إلى اعتمادنا المنهج الوصفي في تعاملنا مع هذه المادة الغزيرة، و لا نكون مخطئين إذا طالبنا بإعادة قراءة التراث العربي عامة فقد نقف فيه على معاني جديدة و جديدة بفتح أسس جديدة في مجال الدراسات الأدبية عامة و النقدية خاصة.

وفي الأخير نسأل الله الإخلاص في القول والعمل.

الفهارس العامة

- فهرس الآيات الكريمة
- فهرس الأحاديث النبوية.
- فهرس الأبيات الشعرية.
- فهرس المراجع.
- * باللغة العربية
- * المراجع المترجمة عن اللغة العربية
- * المراجع باللغة الأجنبية
- فهرس المواضيع.

فهرس الآيات الكريمة

- حسب ترتيب المصحف الشريف -

الآية	السورة	رقمها	الصفحة
﴿ ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم... ﴾	البقرة	85	80
﴿ فهل أنتم منتهون... ﴾	المائدة	91	85
﴿ هل وجئتم ما وعد ربكم حقاً... ﴾	الأعراف	44	85
﴿ يحلفون بالله لكم ليرضوكم... ﴾	التوبة		86
﴿ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة... ﴾	يونس	26	84
﴿ يوسف أخرج من هذا... ﴾	يوسف		80
﴿ فهل على الرسل إلا البلاغ المبين... ﴾	النحل	35	85
﴿ فلا تقتل لهما أنفساً... ﴾	الإسراء	23	93
﴿ أما السفينة فكانت لمساكين... ﴾	الكهف	78	29
﴿ وأسروا النجوى الذين ظلموا... ﴾	الأنبياء	3	96
﴿ يسبح له فيها بالغدو والآصال... ﴾	التور	36	97
﴿ و تلك نعمة تمنها على... ﴾	الشعراء	22	86
﴿ هل جزاء الإحسان إلا الإحسان... ﴾	الرحمان	60	84
﴿ من يتوكل على الله فهو حسبه... ﴾	الطلاق	3	67
﴿ يا أيها النبي لما تحرم ما أحل الله... ﴾	التحريم	1	88
﴿ هل أتى على الإنسان حين من الدهر... ﴾	الإنسان	1	84
﴿ كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون... ﴾	النبأ	03	74

فهرس الأحاديث النبوية

- حسب الظهور في البحث -

الصفحة	الحديث
01	﴿ لا تبتري باسمي ﴾
97	﴿ ينعاقبون فيكم ملائكة ﴾

فهرس الأبيات الشعرية

- أ -

الصفحة	البيت الشعري
72	تسلى بأخر غيرها فإذا التي ❖ تسلى بها تغرى بليلي و لا تسلى
97	نصروك قومي فاعتزرت بنصرهم ❖ و لو أنهم خدوك كنت ذليلا
76	إن إن الكريم يحلم ما لم ❖ يرين من ايجاره قد أضيما
29	أما القطاة فإني سوف أنعتها ❖ نعتا يوافق عندي بعض مفيها

- ب -

89	أبرزوها مثل المهاة تهادي ❖ بين خمس كواعب أتراب
89	ثم قالوا : تحبها قلت بهرا ❖ عدد النجم و الحصى و التراب
72	لظل صدى صوتي وإن كنت رمة ❖ لصوت هوى ليل يهش و يطرب
71	و لو تلتقي أصداؤنا بعد موتنا ❖ و من رمسينا من الأرض سبب
65	و إن أنت فالقول أضمر تضب ❖

- ج -

67	و رب أسيلة الخدين بكر ❖ مهففة لها فرع وجيد
----	--

- د -

54	تغن في كل شعر أنت قائله ❖ إن الغناء لهذا الشعر مضمار
97	رأين الغواني الشيب لاح بعارضي ❖ فأعرضن عني بالخدود النواضر
83	ألا يا أسلمي يا دارمي على البلا ❖ و لازالت منهلا بجر عاتك القطر
64	لا يكون العير مهرا ❖ لا يكون المهر مهرا

- هـ -

81	خليلي ما بال المطايا كأنما ❖ نراها على الأدبار بالقوم تنكص
----	--

- ط -

65	❖	جاءوا بمذق هل رأيت الذنب قط	حتى إذا جن الظلام و اختلط
----	---	-----------------------------	---------------------------

- ج -

83	❖	و قبل منايا قد حضرت و آجال	ألا يا أسقيان قبل غارة سنحال
72	❖	كفاني و لم أطلب قليل من المال	و لو أن ما أسعى لأدنى معيشة
67	❖	يجوز حذفه و في النعت يقل	و ما من المنعوت و النعت عقل
72	❖	و لم يسئل عن ليلي بمال و لا أهل	و لما أبى إلا جماحا فواده

- ن -

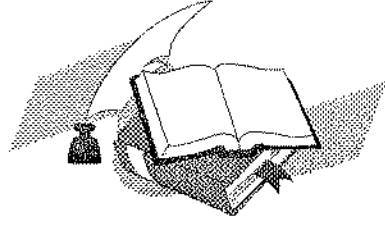
71	❖	كان فقيرا معدما. قالت : و إن	قالت بنات العم يا سلمي و إن
91	❖	لا يلدغك إنه ثعبان	أحفظ لسانك أيها الإنسان
91	❖	كانت تهابه الأقران	كم في المقابر من قتيل لسانه
79	❖	و بالشام الأخرى كيف يلتقيان	إلى الله أشكو بالمدينة حاجة

- م -

71	❖	و إلا يعل مرفقك الحسام	فطلقها فلست لها بكفاء
67	❖	يفضلها في حسب و ميسم	لو قلت ما في قومها لم تيثم
97	❖	و قد أسلماء مبعد و حميم	تولى قتال المارقين بنفسه

- ي -

24	❖	نوح باك و لا ترغم شادي	غير مجد في ملتي و اعتقادي
81	❖	قتيلا بكى من حب قاتله قبلي	خليلي فما عشتما هل رأيتما



فهرس المراجع

المراجع و المصادر باللغة العربية

- القرآن الكريم

ابن الأنباري

- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين و الكوفيين. الشيخ الإمام كمال الدين أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد، الأنباري، الطبعة الرابعة، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، أبريل 1961.

ابن جني أبو الفتح عثمان

- الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، (د.ت).

ابن خلدون

- المقدمة، دار الكتاب اللبناني، الطبعة الثالثة، 1967.

ابن كثير

- تفسير القرآن الكريم. دار مصر للطباعة، 1988.

ابن منظور أبو الفضل جمال الدين

- لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان.

الأشموني

- منهج السالك إلى ألفية ابن مالك، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثالثة، 1970.

ابن طباطبا

- عيار الشعر، تحقيق، محمد زغلول سلام، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1980.

ابن عقيل

- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق: الد/ هادي حسن حمودي، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى، 1991.

- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق: حنا الفاخوري، دار الجيل، بيروت، الطبعة الخامسة، 1997.

أبن يعيش

- شرح المفصل، عالم الكتب، بيروت.

إبراهيم أنيس

- الأصوات اللغوية، المطبعة الفنية الحديثة، الطبعة الثالثة.

أبو الفرج الأصفهاني

- الأغاني، منصور عن مطبعة دار الكتب، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف و الترجمة و الطباعة و النشر.

أبو بشر عمرو بن قنبر - سيبويه

- الكتاب، منشورات مؤسسة الإعلام للمطبوعات، بيروت، لبنان، 1967

أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي

- مختصر تفسير القرطبي، دار الكتاب العربي، الطبعة الثانية، 1406 هـ -

1986م

أحمد كشك

- من وظائف الصوت اللغوي.

أحمد مختار عمر

- دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، الطبعة الثالثة، 1985.

إلفت كامل الروبي

- نظرية الشعر عند الفلاسفة المسلمين، دار التنوير للطباعة والنشر،

بيروت، 1983م.

أدونيس

- الشعرية العربية، دار الآداب، الطبعة الأولى، 1985م.

توفيق محمد شاهين

- علم اللغة العام، مكتبة وهبة، الطبعة الأولى، ماي 1980.

تمام حسان

- مناهج البحث اللغوي، مطبعة النجاة الجديدة، دار الثقافة، الدار البيضاء.

المغرب، 1979.

- اللغة العربية، معناها و مبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء. المغرب، دلت.

جابر أحمد عصفور

- مفهوم الشعر. دراسة في التراث النقدي. المركز العربي للثقافة والعلوم،

الطبعة الثانية، 1982م.

جمال الدين أبو عمرو عثمان بن عمر، المعروف، بابن الحاجب

- الكافية في النحو، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة،

1402 هـ - 1982م.

حازم القرطاجني

- منهاج البلغاء.

رمضان عبد التواب

- المدخل إلى علم اللغة و مناهج البحث اللغوي، مطبعة المتنبي، دار
الرفاعي بالرياض. مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، 1982.

السيوطي

- الأشباه و النظائر، مراجعة و تقديم للد/فايز ترجيني، دار الكتاب العربي،
الطبعة الأولى، بيروت. لبنان، 1404هـ - 1984م.

شكري محمد عياد

- موسيقى الشعر العربي. دار المعرفة، القاهرة. الطبعة الثانية، 1972م.

صلاح عبد الصبور

- حياتي في الشعر. دار إقرأ، بيروت. 1981م.

عاطف مذكور

- علم اللغة العام (مقدمة للقارئ العربي).

عبد الصبور شاهين

- القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، القاهرة مكتبة الخانجي،
د.ط، د.ت.

عبد الكريم النهشلي

- الممتع في علم الشعر و عمله. تحقيق: المنهجي الكعبي. دار العربية
للكتاب، تونس، 1977م.

عبد المالك مرتاض

- بنية الخطاب الشعري. دراسة تشريحية لقصيدة، أحزان يمينية. دار
الحداد، بيروت. الطبعة الأولى، 1986.

علي الجندي

- الشعراء و انشاد الشعر. دار المعارف، مصر. 1967

قدامة بن جعفر

- نقد الشعر، تحقيق، عبد المنعم خفاجي. مكتب الكليات الأزهرية،
القاهرة، الطبعة الأولى، 1978.

كمال أبو ديب

- في البنية الإيقاعية للشعر العربي، (نحو بديل جذري لعروض الخليل)
ومقدمة في علم الإيقاع المقارن. مطبعة، دار العلم للملايين، بيروت.
الطبعة، الثانية. 1981

كمال محمد بشر

- علم اللغة العام (الأصوات).

مازن الوعر

- نحو نظرية لسانية عربية حديثة، طالاس للدراسات و الترجمة و النشر،
الطبعة الأولى 1987.

محمد الأنطاكي

- الوجيز في فقه اللغة.
- المحيط في أصوات العربية و نحوها و صرفها، دار الشرق العربي، الطبعة الثالثة، بيروت-لبنان، د.ت.

محمد حمادة عبد اللطيف

- الجملة في الشعر العربي.

محمد النويهي

- دار الطراز في عمل الموشحات.

مصطفى حركات

- الصوتيات و الفونولوجيا، دار الآفاق، الجزائر - الجزائر د.ت.

ميشال زكرياء

- الألسنية (علم اللغة الحديث)، المبادئ و الأعلام، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، الطبعة الثانية، 1403هـ-1983م.

المراجع المخرجة عن اللغة الأجنبية

أرسطو

- فن الشعر، ترجمة و تحقيق: عبد الرحمن بدوي، دار الثقافة، بيروت،

(د.ت).

برجستراسر

- التطور النحوي مظاهره و علله و قوانينه - تحقيق، رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي (القاهرة) و دار الرفاعي - الرياض، الطبعة الثانية. القاهرة 1410هـ - 1990م.

كارل بروكلمان

- تاريخ الأدب العربي، ترجمة الد/عبد الحليم النجار، الطبعة الثانية، دار المعارف، مصر.

ماريوباى

- أسس علم اللغة، ترجمة أحمد مختار عمر، مطابع سجل العرب، عالم الكتب، الطبعة الثالثة، 1987.

ولتر ستيس

- فلسفة هيجل. ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام. دار الثقافة للطباعة و النشر، القاهرة. 1975م.

وليام، ك. و يمزات كيلينيت بروكس

- النقد الأدبي، تاريخ موجز للنقد الكلاسيكي، ترجمة: حسام الخطيب و محي الدين صبحي، مطبعة، جامعة دمشق، 1974م.

المجلات والدوريات

أمنة بن مالك

- مصطلحات الدراسة الصوتية في التراث العربي. رسالة ماجستير، معهد اللغة و الأدب العربي - الجزائر 1987.

خالد سليمان

- الإيقاع في شعر خليل حاوي، مجلة، أبحاث اليرموك (سلسلة الآداب و اللغويات المجلد السابع، العدد: 02).

سعد مصلوح

- في مسألة البديل لعروض الخليل. دفاعا عن "فايل" مجلة: فصول، العدد: 02، يناير، فبراير، مارس 1986.

عبد الرحمن الحاج صالح

- مدخل إلى علم اللسان الحديث. اللسانيات. المجلة في علم اللسان البشري، جامعة الجزائر معهد العلوم اللسانية و الصوتية. المجلد الأول، 1971م.

مناف مهدي محمد الموسوي

- مجلة اللسان العربي. العدد: 35 السنة 1991.

ميخائيل خليل الله ويردي

- العروض و موسيقى الشعر. مجلة المعرفة، المجلد: 02. العدد: 06، آب 1962. وزارة الثقافة و الإرشاد القومي، سوريا - ضمن البنية الإيقاعية في شعر أبي تمام، رشيد شعلال، رسالة: ماجستير، 1993.

المراجع باللغة الأجنبية

Fernetani, E. and Korris, S.

- (1981), « Italien lexical stress in connected speech », Proc. of the 4 th F.A.S.E. Symposium, ed. Scientefiche Associate, Rome.

GALISSON, R. et COSTE, D.

- (1976), Dictionnaire de Didactique des Langues. Hachette.

Hart, J. and Collier, R

- (1975). « Integrating Different levels of Intonation analysis », J. off Phonetics.

JAKOBSON, R.

- (1963). « Essais de Linguistique Générale », 5^{eme} ed. de Minuit, Paris.

Katwijk, A. Van

- (1975). « The role of Respiratory effort in Accentuation », Manuscript n° 279/11, inst. for perception Res, Eindhoven.

Marouzou, J.

- (1924). « Accent affectif et Accent intellectuel », Bull. société linguistique de Paris.

Martinet A

- (1968). « Eléments de linguistique générale », 5^{eme} ed. A. Colin, Paris.

MOUHOUCHE, A.

- (1988). « Lexique de vocabulaire de Physique : Français - Arabe. » O.P.U. - Algérie.

Perrot, J.

- (1978). « Fonctions Syntaxiques , énonciation, information », Bull. Société de linguistiques de Paris. LXXIII

Rossi, M.

- « L'intonation et la troisième articulation », Bulletin de la société linguistique de Paris, IXXIII.
- (1980), « Le cadre accentuel et le mot en Italien et en Français », in Problemes of prosodie, Léon, P. et Rossi, M. éd. Studia Phonética, 17, Didier.

Trubetzkoy, N. S.

- (1957). « Principes de Phonologie, Klincksieck, Paris.

فهرس الموضوع

المقدمة

1	الفصل التمهيدي : المدخل
1	النبر عند القدامى
6	تعريف التنعيم
11	الفصل الأول : النبر
11	المبحث الأول : تعريف النبر
11	النبر لغة
12	النبر اصطلاحاً
20	المبحث الثاني : مواطن النبر عند المحدثين
31	المبحث الثالث : وظائف النبر اللسانية
35	1 - على المستوى الدلالي
35	2 - على المستوى الصوتي
37	المبحث الرابع : إتجاه بناء الأشعار في العربية
41	المبحث الخامس : النبر في اللغات الأروبية. (نماذج)*
41	نبر الشدة
42	الإستعمال الصوتي لنبر الشدة
43	لغات دون نبر الكلمة
44	نبر التفخيم
45	النبر الموسيقي

49	المبحث السادس : كمية التبر.....
53	الفصل الثاني : التنعيم.....
53	المبحث الأول : الإيقاع و البعد النفسي.....
53	مفهوم الإيقاع.....
55	الإيقاع و الوزن.....
58	البعد النفسي للإيقاع.....
62	المبحث الثاني : وظائف التنعيم.....
64	النعت و المنعوت.....
67	أسلوب الشرط.....
72	أسلوب التوكيد.....
77	البدل.....
80	أسلوب النداء.....
84	أسلوب الاستفهام.....
90	اسم الفعل.....
91	أ- اسم الفعل الماضي :.....
93	ب- اسم الفعل المضارع :.....
94	ج- اسم الفعل الأمر :.....
100	المبحث الثالث : الوظائف اللسانية للتنعيم.....
100	ملاحظات تمهيدية.....
107	المبحث الرابع : تحليل الوظائف اللسانية للتنعيم.....
107	1- وظائف التنعيم على المستوى الموضوعي.....
112	2- وظائف التنعيم على المستوى الذاتي.....
114	المبحث الخامس : جوهر التنعيم.....

120	الختامة
122	الفهارس العامة
123	فهرس الآيات الكريمة
124	فهرس الأحاديث النبوية
125	فهرس الأبيات الشعرية
127	فهرس المراجع
127	المراجع و المصادر باللغة العربية
130	المراجع المترجمة عن اللغة الأجنبية
131	المجلات و الدوريات
132	المراجع باللغة الأجنبية
133	فهرس المواضيع